جامعة دمياط
Damietta University

كلية الآداب

المجلة العلمية لكلية الآداب

الرقم الدولي للدورية
(المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة دمياط)
(ISSN 2314- 8519)

المجلد الأول

التقويم الجغرسياسي للعوامل الطبيعية المؤثرة في قوة الدولة

دراسة تطبيقية في الجغرافيا السياسية

إعداد

محمد حسن عبد السلام عبد ربه

دكتوراه الجغرافيا السياسية – كلية الآداب – جامعة المنصورة

مقدمة:

تعرف الجغرافيا السياسية بأنها الدراسة الجغرافية للظاهرة (أو الظاهرات) السياسية التي أنتجها تفاعل الإنسان مع الأرض (**صلاح عبد الجابر عيسي ،٢٠٠٤ ص١٧.**) .وتعد الدولة أهم تلك الظاهرات وأكثرها وضوحاً وتحديداً ، وتبين خريطة العالم السياسية نمطاً توزيعياً للدول بأنواعها المختلفة ، وكل منها تمثل المجهود المنظم الذي يبذله سكانها للملائمة بين نشاطهم سواء كان سياسياً أو غير سياسي وبين أحوال بيئتهم ، غير أن تلك الخريطة معرضة للتغير في فترات كثيرة متقاربة نسبياً ، وعلاوة على ذلك فإن نسبة التغير وحدوثه يختلفان زماناً ومكاناً ، ذلك أن الدول لها صفة التقلب بدرجة واضحة (**أ . أ . مودي ، بدون تاريخ ، ص٦**).

لكل دولة لاندسكيبها السياسي الخاص بها الذي يتألف من مجموعة من العناصر التي تتفاعل لمنح الدولة التي تشغل هذا النطاق الأرضي قوة وتماسك داخلي ووزن سياسي رفيع على المستوى الدولي إقليميا وعالميا ، في نفس الوقت عندما تتنافر مكونات اللاندسكيب السياسي تؤدي إلى تفكك داخلي ويضعف تأثيرها على المستوى الدولي والإقليمي (فتحي مصيلحي ، ٢٠٠١ ، ص ٣٩)

ولقد ظهر على خريطة العالم السياسية دولة وليدة تستحق الدراسة فلقد ترتب على تفكك الاتحاد السوفيتي السابق في ديسمبر عام ١٩٩١ ظهور خمس عشرة دولة مستقلة جديدة على خريطة العالم السياسية ، تلك الدول هي : أرمينيا وأذربيجان وأوكرانيا وقيرغيزستان ولاتفيا وبيلا روس وتركمانستان واستونيا وليتوانيا ومولدوفا وجورجيا وكازاخستان وروسيا وطاجيكستان وأوزبكستان (**ماهر حمدي عيش ، ٢٠٠٥ ، ص٣٦**)

وتدور الدراسة التطبيقية حول إحدى هذه الدول وهي دولة طاجيكستان ، فقد شهدت طاجيكستان في أعقاب الاستقلال حرباً أهلية دارت رحاها لمدة خمس سنوات ، وقد هددت تلك الحرب مصير دولة طاجيكستان لارتباطها بالتنوع العرقي وصعود الإسلام السياسي وتدهور الأحوال الاقتصادية .

تنتمي دولة طاجيكستان الوليدة إلى إقليم آسيا الوسطي الذي يضم إلى جانبها دول كازاخستان و أوزبكستان وتركمانستان وقيرغيزستان ، وتبلغ مساحة طاجيكستان ١٤٣,١ ألف

كم٢ ، وهي بذلك تعد في المرتبة الثامنة بين الدول المفككة من الاتحاد السوفيتي من حيث المساحة .

وتقع طاجيكستان بين دائرتي عرض ٤٠ ٣٦ و ٤٠ ٣٩ شمالا ، وبين خطي طول ٢٠ ٦٧ و ٨٥ شرقا وهي بذلك تمتد عبر ثلاث دوائر عرض و ١٨ خط طول .وهي دولة حبيسة في وسط آسيا يجاورها من الشرق الصين ومن الجنوب أفغانستان ومن الغرب أوزبكستان ومن الشمال قيرغيزستان ، وجميع تلك الدول باستثناء الصين هي دول حبيسة إذا تجاهلنا وقوع دولة أوزبكستان على بحر آرال الداخلي المغلق .

ويبلغ طول الحدود السياسية لطاجيكستان ٣٦٥١ كم ، وتشترك أفغانستان في ١٢٠٦ كم منها ، وتشترك أوزبكستان في ١١٦١ كم منها ، وتشترك قيرغيزستان في ٧٨٠ منها والصين في ٤١٤ كم منها .

بلغ عدد سكان طاجيكستان حسب آخر تعداد أجرته طاجيكستان عام ٢٠٠٠ نحو ٦,١ مليون نسمه ، بينما تشير التقديرات الطاجيكية إلى وصول عدد السكان إلى ٦,٩ مليون نسمه حسب تقدير عام ٢٠٠٥ ، وتستهدف الدراسة الحالية التقويم الجغرافي السياسي لدولة طاجيكستان بوصفها دولة جديدة على الخريطة السياسية للعالم ، لم يمض على ظهورها أكثر من ١٦ عاما .

ولا تهدف الدراسة الحالية إلى دراسة جغرافية سياسية تقليدية لدولة طاجيكستان بقدر ما تهدف إلى تحليل وتقويم بعض العناصر ذات الأهمية في وضع هذه الدولة الوليدة المنسلخة عن دولة اكبر، والتقويم هو عملية تستهدف تحديد قيمة شيء ما من خلال الكشف عن خصائصه الإيجابية وخصائصه السلبية والموازنة بينهما وصولاً لما هو أقوم وأصلح(**صلاح عبد الجابر عيسي ،٢٠٠٢ ،ص٨٩**).

ويأتي هذا التقويم من خلال رؤية تحليلية للدولة باعتبارها ظاهرة جغرافية تتركب من عناصر أساسية طبيعية وبشرية من أهمها موقع الدولة على سطح الأرض ومساحة مميزه بحدود تبسط

الدولـة عليهـا سيادتها وأنـواع مـن المـوارد الطبيعيـة تتـوزع علـي مسـاحة الدولـة وسـكان يعمـرون الأرض وخطوط وشبكات نقل ومواصلات تربط أجزاء الدولة .

وتهتم الدراسة بتحليل بعض هذه العناصر ذات الأهمية لإبراز وضع هذه الدولة الوليدة بهدف تحديد جوانب القوة والضعف في تلك العناصر وانعكاس ذلك على الكيان السياسي للدولة.

ويلزم لفهم السلوك السياسي للدولة ، وإدراك علاقاتها السياسية الداخلية والخارجية والوقوف علي قوتها أن يتعرف الدارس علي خصائصها الطبيعية وآثارها السياسية. ويجب النظر إلي الجوانب الأرضية للدولة علي أنها مجموعة متفاعلة متشابكة التأثير بحيث تشكل في النهاية نسيجاً متكاملاً يحدد خصائص وسمات أرض هذه الدولة من وجهة نظر الجغرافيا السياسية، ومن أهم تلك الخصائص الموقع و المساحة والشكل ومظاهر السطح و المناخ.

أولا : الموقع

يعد الموقع من أكثر الخصائص الجغرافية تأثيراً في تكوين شخصية الدولة وتحديد وزنها السياسي ، وتأتي دراسة الموقع الجغرافي في مقدمة المقومات الجغرافية التي تتدخل في تبرير وجود الدولة الجغرافي علي صفحة الخريطة السياسية **(محمود توفيق محمود،١٩٨٧ ، ص٤)**. فموقع الدولة الجغرافي هو الذي يضعها في قلب حركة الأحداث السياسية والتاريخية ، وهو أيضاً الذي يهمش وجودها في إطار مجتمع الدول ، وينأي بها عن حركة الأحداث السياسية أحياناً أخري**(صلاح الدين الشامي ، ٢٠٠١، ص٢٩)**

(١) الموقع الفلكي

يعد الموقع الفلكي أحد الخصائص المؤثرة في الوضع الجيوسياسي للدول ، وذلك لما له من أثر مباشر وغير مباشر علي مظاهر النشاط البشري في الإقليم السياسي للدولة ، إذ يحدد موقع الدولة الفلكي النطاق المناخي الذي تتسم به الدولة ، والذي مازال يمثل المتحكم الأكبر في مظاهر النشاط البشري وتمتد طاجيكستان بين دائرتي عرض ٣٦.٤٠ – ٣٩.٤٠ شمالاً وبين خطي طول ٦٧.٢٠– ٨٥شرقاً ، أى أنها تمتد عبر ١٨ خط طول و٣ دوائر عرضية ، ولا يسمح هذا الامتداد المحدود علي دوائر العرض بتنوع كبير في الظروف المناخية ، ورغم قلة دوائر العرض إلا أن مناخ طاجيكستان متنوع ولكنه يدين في تنوعه إلي عامل التضاريس بالإضافة إلي الموقع القاري للدولة.

(٢) الموقع القاري

يعد موقع الدولة بالنسبة لليابس والماء عنصر مهم في الجغرافيا السياسية للدولة لأنه يعطي الوحدة السياسية شخصية خاصة ويوجه سياستها نحو اتجاهات معينة والدول التي تقع علي مسطحات مائية توصف بأنها دول بحرية أما التي لا تطل علي مسطحات مائية فهي دول برية حبيسة **(Dikshit, R.D., 1982, P.31)**.

ويحرم الموقع الحبيس الدولة من فرص الاتصال بشكل مباشر مع أى وحدة سياسية عدا الوحدات الملاصقة لها في الحدود ، الأمر الذي يزيد من اعتمادها علي الدول المجاورة لا سيما من يمتلك منها منفذاً علي البحر(**محمد أزهر سعيد السماك١٩٨٢، ص٥٠**) .

وتقع طاجيكستان في قلب آسيا أو ما سمي في نظرية " ماكيندر" بقلب الأرض وهي أكثر مناطق العالم قارية وبعداً عن المسطحات المائية. إذ تعد طاجيكستان دولة رهينة المحبسين . إذا جاز التعبير . فهي دولة لا تطل على أي مسطح بحري ، وتحيط بها دول أخرى من جميع الجهات ، تلك الدول هي : الصين وأفغانستان وأوزبكستان وقيرغيزستان، كما أن جميع تلك الدول باستثناء الصين هي في ذاتها دول حبيسة لا تطل على مسطحات بحرية إذا ما تجاهلنا وقوع أوزبكستان على بحر آرال الداخلي المغلق ويوضح الشكل(١) موقع طاجيكستان بالنسبة للبحار والمسطحات المائية .

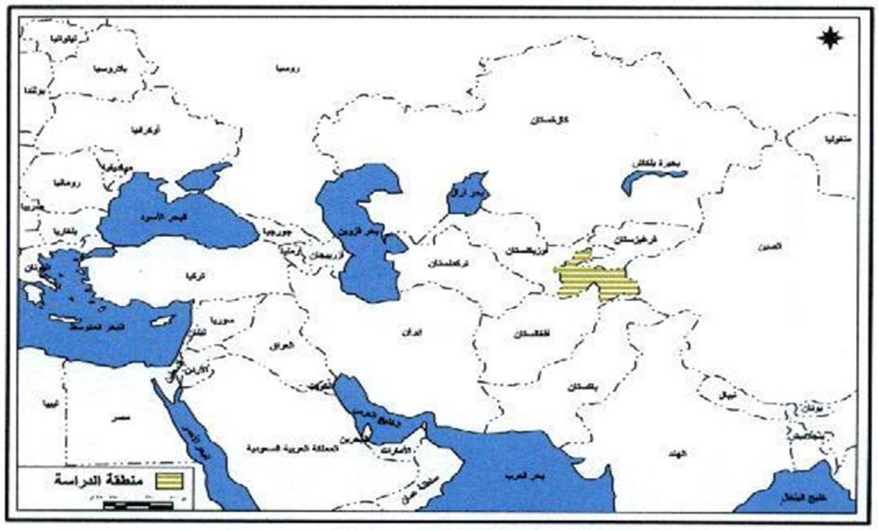

شكل ( ) موقع طاجكستان بالنسبة للبحار

ومنذ ما يربو علي قرنين تقريباً رأي عالم الاقتصاد الشهير آدم سميث Adam Smith أن الأجزاء الداخلية من آسيا وإفريقيا هي الأقل نمواً علي مستوي العالم ، وتنبأ بأن صعوبة التجارة الخارجية في هذه الأرجاء سوف تحول دون استفادتها من مزايا وعوائد التخصص بالمقارنة بجيرانها من الأجزاء الساحلية **(Snow.T,& Others2003,p.2),**.

وفي أوائل القرن الحالي رسم تقرير التنمية البشرية **(United Nations Development Program2002,pp149-152)** صورة قاتمة للدول الحبيسة علي مستوي العالم ، فقد أشار تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٢ إلي ما يلي:

- أن ١٣ من الدول الحبيسة الحديثة هي ضمن الدول ذات التنمية المنخفضة low development
- أن تسع من تلك الدول الـ ١٣ تقع ضمن أقل ١٢ دولة في العالم من حيث مؤشر التنمية البشرية.
- أن ١٧ من تلك الدول الحبيسة ومنها طاجيكستان تنضوي في فئة التنمية البشرية المتوسطة Medium human development
- جاءت دولة طاجيكستان في المرتبة١١٢ حسب مؤشر التنمية البشرية بين ١٧٣ دولة تضمنها تقرير التنمية البشرية ، وبلغ مؤشراتها ٠,٦٧ .

رأي سميث أنه نظراً لصعوبة التبادل التجاري للدول الحبيسة فأنها سوف تواجه صعوبات في التخصص وفوائده. وقد بني تحليله علي صعوبة النقل البري لمسافات بعيدة. وبرغم التطورات التكنولوجية الهائلة في مجال النقل إلا أن ارتفاع تكلفة النقل يحد من قدرة الدول الحبيسة علي المنافسة في السوق العالمي مقارنة بجيرانها من الدول الساحلية**(Snow.T,& Others2003,p.3)**.

المسافة بين طاجيكستان والبحر

ليست المسافة هي وحدها القادرة علي تفسير ضعف قدرة الدول الحبيسة علي المنافسة فهناك مناطق في دول ساحلية كبيرة ولكنها تبعد عن البحر بمسافة مساوية أو تزيد علي بعض الدول الحبيسة مثل الصين والهند وروسيا.وبرغم أن تلك المناطق تواجه تكاليف المسافة الكبيرة إلا أنها تتمتع بميزة بالمقارنة بالدول الحبيسة وهي أنها غير مضطرة لمواجهة تحديات عبور الحدود كما رأي سميث.

تعد طاجيكستان ثالث أبعد الدول الحبيسة في آسيا عن البحر، ولا يفوقها في ذلك سوي كازاخستان (٣٧٥٠كم) وقيرغيزستان (٣٦٠٠كم) ، كما يتضح من الجدول(١)

ومن بين دول الجوار الأربع لطاجيكستان فإن دولة واحدة فقط هي الدولة الساحلية متمثلة في الصين ، في مقابل ثلاث دول حبيسة متمثلة في قيرغيزستان وأوزبكستان وأفغانستان.ونظراً لوعورة التضاريس في المنطقة الحدية بين طاجيكستان والصين والتي تجعل النقل البري بين الدولتين شديد الصعوبة فإن طاجيكستان توشك أن تكون دولة مزدوجة الانحباس Double land locked، أي أنها دولة حبيسة محاطة بدول حبيسة.

جدول (١)أقرب مسافة بين الدول الحبيسة والبحر في آسيا

الدولة	البعد عن البحر (كم)
لاوس	٦٢٠
أرمينيا	٦٩٣
بوتان	٧٧٥
أذربيجان	٨٧٠
نيبال	١١٦٠
منغوليا	١٦٩٣
تركمانستان	١٧٠٠
أفغانستان	١٩٦٠
أوزبكستان	٢٩٥٠
طاجيكستان	٣١٠٠
قيرغيزستان	٣٦٠٠
كازاخستان	٣٧٥٠

Source:United Nations Conference On Trade And Development ,Landlocked Developing Countries- Facts and Figures , New York, 2006,pp2,60.

وتعد مؤشرات التنمية الاقتصادية والبشرية في طاجيكستان أسوأ من نظيرتها في الدول الساحلية، ويمكن أن يرجع الكثير من ذلك إلي اعتماد طاجيكستان كدولة حبيسة علي المرور

العابر عبر دول أخري للوصول إلي الأسواق العالمية ، ولهذا الاعتماد عدة أشكال هي : **(Snow.T,& Others2003,p.7)**

١- الاعتماد علي البنية التحتية للمرور العابر في الدول المجاورة

٢- الاعتماد علي العلاقات السياسية مع الدول المجاورة.

٣- العملية الإدارية للمرور العابر .

تتمثل البنية التحتية للنقل في شبكة الطرق البرية وخطوط السكك الحديدية وتعتمد طاجيكستان اعتماداً كلياً علي البنية التحتية النقلية للدول المجاورة وخاصة دول المرور العابر لنقل بضائعها إلي الموانئ ، ويمكن أن تكون تلك البنية التحتية ضعيفة لعدة أسباب منها: نقص الموارد وسوء الحكم والإدارة و النزاعات و المخاطر الطبيعية.

وبغض النظر عن الأسباب فإن سوء حالة البنية التحتية يزيد من تكاليف النقل مما يضعف القدرة التنافسية ويقلل عوائد الاستثمار في الدولة الحبيسة.وكلما كانت البنية التحتية لشبكة الطرق في دول الترانزيت جيدة كلما انخفضت تكلفة النقل بالنسبة للدولة الحبيسة والعكس صحيح.

حدت الطبيعة الجبلية لدولة طاجيكستان من قدرات النقل بالسكك الحديدية في طاجيكستان وزادت من الاعتماد علي شبكات الطرق البرية . ويواجه المرور علي الطرق الدولية التي تربط طاجيكستان بدول المرور العابر عقبة البيروقراطية حتي أنه من الأقوال الشائعة تندراً في طاجيكستان أنه " لا ينصح بالقيادة علي طرق المعابر الدولية ما لم يكن لديك عشق شديد للبيروقراطية" ويواجه كل ممر طاجيكي للمرور العابر عدة عقبات أخري هي**(Snow.T,& Others2003,p.76):**

١- الممرات الأوزبكية . التي تستأثر بنحو ٨٠% من حركة المرور الدولية الطاجيكية . جميعها معرضة للإغلاق من قبل حكومة أوزبكستان ، مثل هذا الإغلاق عادة ما يستخدم من قبل الحكومة الأوزباكية كسلاح سياسي . فقد أغلقت الطرق لعدة سنوات في أواخر التسعينيات من القرن الماضي ، وفي ديسمبر عام ٢٠٠٠ وبعد إعادة فتح الطرق في أوائل ذلك العام

عمدت الحكومة إلي إعادة إغلاق الطرق مرة أخرى متعللة بالإعداد لاحتفالات الاستقلال السنوية.

٢- يمثل الطريق السريع Highway إلي قيرغيزستان بديلاً محتملا وممكناً ، ولكنه محفوف بتكرار العنف علي طول الحدود ، علاوة علي ذلك فإن هذا الخيار غير محبذ لكون قيرغيزستان دولة حبيسة ومعرضة لنفس المشاكل.

٣- ممر محتمل عبر أفغانستان سوف يتيح أقصر الطرق إلي البحر لطاجيكستان ، إلا أن ما يحول دون ذلك هو الحرب الأهلية في أفغانستان.

٤- طريق محتمل عبر الصين جاري تجهيزه ، ولأن البنية التحتية النقلية للاتحاد السوفيتي السابق لم تكن مربوطة بالصين فحتي عام ٢٠٠١ لم يكن هذا الطريق قد اكتمل .

٥- مما يعقد النقل في طاجيكستان سواء الداخلي أو الدولي هو تعرض الدولة لمخاطر الطبيعة مثل الفيضانات والزلازل والانهيارات الأرضية.

ونظراً لطبيعتها الجبلية فإن طاجيكستان تعتمد علي النقل بالطرق البرية (٨٢% من إجمالي البضائع المشحونة عام ١٩٩٧) أكثر من أى دولة من دول ما بعد الاتحاد السوفيتى، ومع تناقص وضعف أهمية التبادل التجاري مع روسيا، فسوف يتحول المزيد من البضائع المشحونة إلي الاعتماد على الطرق دون غيرها. وقد شيدت شبكة الطرق خلال الحقبة السوفيتية ، وهي شبكة واسعة الانتشار(**الأمم المتحدة ، ٢٠٠٣، ص٩**).

وتعاني الطرق في طاجيكستان من الظروف الجغرافية القاسية harsh geographic conditions فبالإضافة إلي إغلاقها بانتظام بسبب الثلوج snow ، فإن الطرق تغلق بسبب الانهيارات الطينية mudslides والانهيارات الأرضية landslides والفيضانات .

فالطريقين السريعين highways الرئيسيين في طاجيكستان (دوشنبه- أيني) ، (قالقوم – خورج) . علي سبيل المثال . عادة ما يتم غلقهما لمدة خمسة إلي ستة أشهر كل شتاء. وللوصول إلي تلك المناطق في الشتاء فإن علي الشاحنات أن تعبر من خلال أوزبكستان، ومن المقدر أن

نحو ١٠% من طرق طاجيكستان قد دمر خلال الفترة من ١٩٩٢ إلي ١٩٩٩ بفعل المخاطر الطبيعية من ناحية والحرب الأهلية من ناحية أخرى.

وتعيق التعقيدات البيروقراطية ، والتنظيمات والإجراءات الصارمة عند الحدود حركة المرور العابر لطاجيكستان. وبصفة خاصة عند الحدود الأوزبكية(**الأمم المتحدة ، ٢٠٠٣، ص١٠)** .وتعمل طاجيكستان علي تشييد طريق يربطها بالصين وبطريق قارقورم السريع.

أما عن خطوط السكك الحديدية فهى محدودة للطبيعة الجبلية لمعظم اقليم طاجيكستان ، وباقي خطوط السكك الحديدية التي شيدها الاتحاد السوفيتي موجودة في غرب طاجيكستان باتساع وتربط العاصمة بالمناطق الصناعية ، وبرغم أن البنية التحتية جيدة إلي حد ما ، فإن نظام المرور العابر مشوش بصفة عامة نظراً للفقر الشديد في مجال الاتصالات . وخطوط السكك الحديدية الرئيسة ثلاثة هي**(Snow.T,& Others2003,p.77):**

١- خط يعبر وادي فرغانة الشمالي من إنديجان Andijanفي أوزبكستان عبر كوكاند Khojand في طاجيكستان إلي سمرقند في أوزبكستان.

٢- خط يمر جنوباً من دوشنبه Dushanbe عبر أوزبكستان إلي ترميذ Termiz عند الحد الأفغانستاني ثم مباشرة إلي الجنوب من دوشنبه إلي توجل Tugul علي الحدود الأفغانية .

ونظراً لعدم وجود خطوط سكك حديدية في أفغانستان وللعقبات الأوزباكية فإن الطريقين فقدا أهميتهما.

وفي حين أن تصميم نظام النقل للاتحاد السوفيتي لم يكن مناسباً إلي حد بعيد ـ للأنماط التجارية الجديدة" للدول الوليدة في ما بعد الاتحاد السوفيتى ،فإن ذلك يصبح مزدوجاً في حالة طاجيكستان ، ليس فقط لكون نظام السكك الحديدية لا يوفر ارتباط مع الممرات التجارية الجديدة مثل الصين ، بل لأن الارتباط التقليدي بروسيا يتطلب الآن المرور بدولة ثالثة.

وتستخدم طاجيكستان موانئ بحر البلطيق وبصفة أساسية ميناء ريجا "Riga " ، والموانئ الروسية مثل نوفورسيسك Novorossiysk ، والموانئ الأوروبية مثل ميناء بريمرهافن Bremerhaven بألمانيا .

وللعلاقات السياسية مع دول الجوار أهمية كبيرة ، لو أن الدولة الحبيسة ودولة المرور العابر المجاورة لها في حالة تنازع مشترك سواء عسكري أو سياسي فمن اليسير علي دولة المرور العابر أن تغلق حدودها ، أو أن تعيق حركة التجارة الدولية للدولة الحبيسة، وحتى في حالة عدم وجود نزاع مباشر فإن الدولة الحبيسة هي إلي حد بعيد معرضة لأوهام الدول المجاورة لها .

وعلى الرغم من وجود أساس قانوني لحق الدول الحبيسة في الوصول من وإلي البحر كما يتضح في المادة ١٢٥ الفقرة ١ من قانون البحر لعام ١٩٨٢ ، فإنه في الواقع وعملياً فإن الفقرتين ٢، ٣ من ذات المادة تجعل تحقيق ذلك مرهون بالعلاقة بين الدولة الحبيسة ودولة المرور العابر.

يكفل قانون البحار لعام ١٩٨٢ حق الوصول إلي البحر ومنه وحرية المرور العابر حسب المادة ١٢٥ التي تنص على الآتي(**الأمم المتحدة،١٩٨٨، ص ٦٤**) :

"تتمتع الدول غير الساحلية بحرية المرور العابر عبر أراضي دول المرور العابر بكافة وسائل النقل . ويتم الاتفاق علي أحكام وصور ممارسة حرية المرور العابر بين الدول غير الساحلية ودول المرور العابر المعينة. ولا تخضع حركة المرور العابر لأي رسم جمركي أو ضريبة .

تأثرت دول آسيا الوسطي .وخاصة طاجيكستان .بمنازعات الحدود Cross- border disputes ، فبعد تفكك الاتحاد السوفيتي تم تقسيم الجمهوريات السابقة علي أساس الحدود الإدارية وكانت تلك الحدود مصدر للعديد من النزاعات كما ساعد علي التوتر العام في التعاون الإقليمي .

في حالة تعرض دولة المرور العابر لنزاع أهلي فإن طرق المرور العابر يمكن أن تدمر أو تغلق ، مما يتطلب في بعض الحالات تغيير مسار النقل وفي أسوأ الأحيان توقف المرور .

وعلى الرغم من انتهاء الحرب الأهلية الدموية فى طاجيكستان عام ١٩٩٧ بتوقيع اتفاق السلام بين الحكومة والمعارضة الإسلامية ، إلا أن المنطقة مازالت تشهد وبمستويات مرتفعة التوتر الديني وبصفة خاصة في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، فضلا عن سوء العلاقات الخارجية في المنطقة ، والمنازعات الحدودية ، وقد تضافرت كل تلك العوامل لتجعل المرور من وإلي طاجيكستان أمر صعب.

وعلاقات طاجيكستان الخارجية غير مستقرة برغم تلقي الحكومة الطاجيكية دعما من حكومات روسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وأوزبكستان ضد المعارضة الإسلامية مثل حزب التحرير ، ولاختراق بعض الجماعات الإسلامية للحدود الطاجيكية . الأوزبكية المشتركة والعمل من خلال أراضي أوزبكستان ضد حكومة طاجيكستان ، فقد أغلقت أوزبكستان الحدود المشتركة مع طاجيكستان ، وزرعت ألغاماً أرضية علي طول الحدود السياسية المشتركة مع طاجيكستان.

وترتب علي ضعف تحديد الحدود السياسية في الحقبة السوفيتية درجات عالية من التوتر بين طاجيكستان وأوزبكستان وقيرغيزستان ، والكثير من ذلك النزاع متركز في وادي فرغانه حيث تتنازع الدول الثلاث بشأن الحدود.

وشهدت المنطقة العديد من القلاقل الأمنية ، خاصة في منطقة الحدود القيرغيزية . الطاجكية المشتركة. واتفقت كل من طاجيكستان وأوزبكستان علي نحو ٨٦% من الحدود المشتركة بينهما ، ولكن أي ترسيم إضافي في هذا الحد سوف يكون شديد التعقيد

والنزاع بشأن الحدود مع الصين تم حله عام ٢٠٠٢ ، عندما تم الاتفاق علي الحد بين الدولتين وهذا تطور إيجابي لأن ذلك الحد هو الطريق الجديد البديل لحركة الترانزيت لطاجيكستان في المستقبل.

وبرغم أن علاقة طاجيكستان مع روسيا علاقة حميمة ، إلا أنها أصبحت أكثر تعقيداً بسبب:

١- فتح طاجيكستان لأجوائها أمام الولايات المتحدة وقواتها الجوية العاملة في أفغانستان.

٢- العدد الكبير من المهاجرين غير الشرعيين من الطاجيك إلي روسيا وقيام روسيا بترحيلهم.

أما عن المنظمات الإقليمية فلم تسهم في تحسين بنية المرور العابر.

وخلال الحقبة السوفيتية لم تكن هناك صعوبة في المرور من جمهورية لأخري فى الاتحاد السوفيتي عامة ، وكان من السهل التنقل بين طاجيكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وأوزبكستان، فقد كان ذلك يخلو من التعقيدات الإدارية ، وكانت تمنح الفيزا الحرة لمدة ٧٢ ساعة حتى أواخر التسعينيات ، لتسمح بالمرور دون الحاجة الى تأشيرة ، ولكن ذلك لم يعد سارياً للفقر وسوء العلاقات بين دول المنطقة.

(٣)الموقع بالنسبة لدول الجوار

يقصد به موقع الدولة بالنسبة للدول المجاورة لها مباشرة أى التي تشترك معها في الحدود السياسية .والغرض من دراسة الموقع المجاور هو التعرف علي طبيعة العلاقات التي يمكن أن تربط بين الدولة وجاراتها داخل حيز مكاني مشترك ، وذلك علي أساس أن هذا النمط من العلاقات له أهمية خاصة في حياة الدول ، لأنه يمس مساً مباشراً حاجة الدول الأساسية إلي تأمين سلامة أراضيها ووحدة ترابها.

ويشترك مع طاجيكستان في الحدود أربع دول يمكن تتبعهم مع عقارب الساعة كالتالي: قيرغيزستان من الشمال الشرقي والصين من الشرق وأفغانستان من الجنوب وأوزبكستان من الغرب والشمال الغربي كما في الشكل (٢) .

و كلما زاد عدد الدول المجاورة لدولة ما كلما زادت الأعباء الملقاة علي عاتق هذه الدولة لقاء تحملها مسئولية إدارة شئون الجوار ، كما أن ذلك يحمل على الجانب الآخر فرصا أكبر للتعاون ،ونظرياً فإن عدد دول الجوار لطاجيكستان قليل بالمقارنة بدول أخري، ولكنها من الناحية

الواقعية من أكثر دول ما بعد الاتحاد السوفيتي تأزما من حيث العلاقة مع دول الجوار الجغرافي . فعلي حدودها الشرقية يقع إقليم " سنكيانج" الصيني ذي الأغلبية المسلمة والذى طالما تطلع شعبة للاستقلال عن الصين .

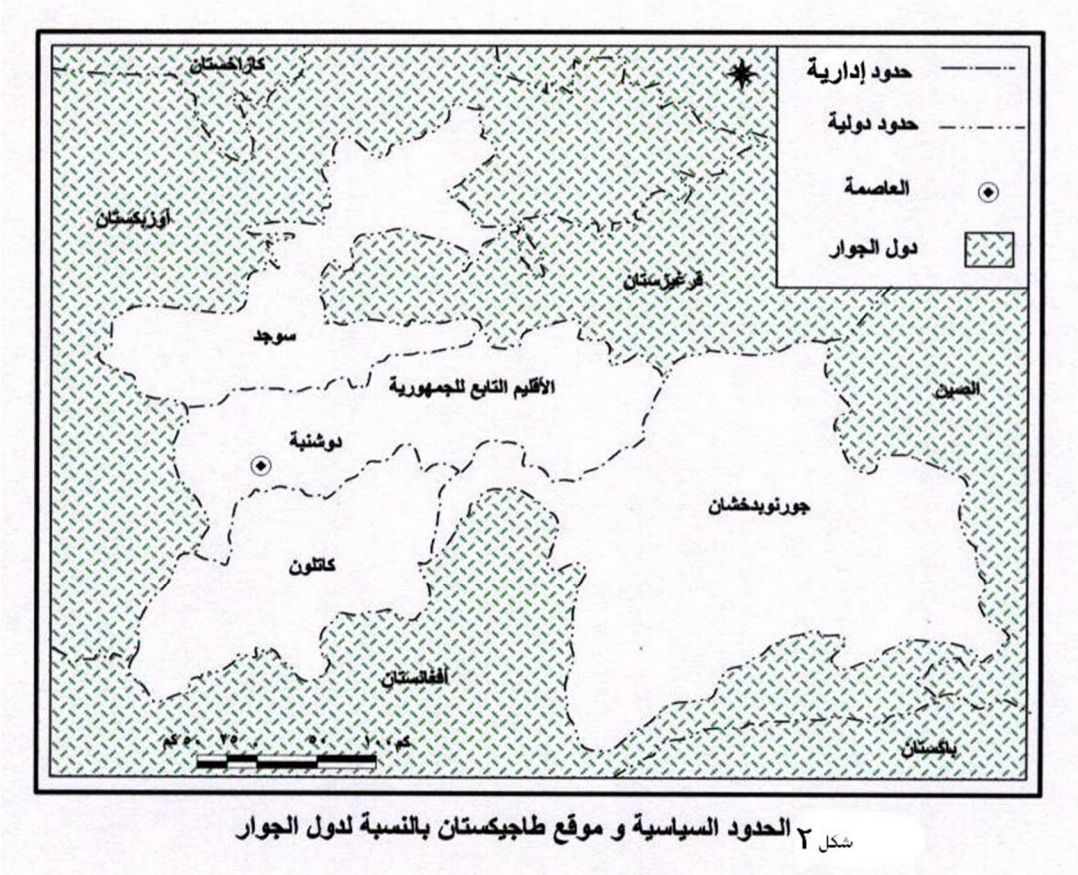

شكل ٢ الحدود السياسية و موقع طاجيكستان بالنسبة لدول الجوار

كما أن لها حدود طويلة مع أفغانستان التي تشهد وضعاً غير مستقر منذ الثمانينيات من القرن العشرين منذ انتصار المجاهدين الأفغان علي الاتحاد السوفيتي السابق وصمودهم أمام قوة الروس ، ومروراً ببروز الأصولية الإسلامية علي يد طالبان وأخيراً التواجد الأمريكي في أفغانستان بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م .

وينسحب الموقع بالنسبة للدول الأخرى إلي الموقع من مراكز القوي العالمية أو الدول الكبيرة ذات القدرات العسكرية المتميزة ومنها مثلاً الولايات المتحدة الأمريكية – روسيا – الصين فمن المعروف أن للقوي الكبرى آثاراً علي ما يحيط بها من دول أخري.

وهذا ما نلاحظه في موقع طاجيكستان حيث تجاورها الصين من الشرق وتقع روسيا قريباً منها ، كما أصبح لطاجيكستان جوار غير مباشر مع الولايات المتحدة وذلك إذا وضعنا في اعتبارنا التواجد الأمريكي في أفغانستان منذ أحداث ١١ سبتمبر ، بل أصبح للولايات المتحدة الأمريكية قواعد عسكرية في طاجيكستان وبقية دول آسيا الوسطي وهو ما شكل أول اختراق) عسكري للمنطقة **(Eland,I., 2003, P.3**

وهناك اعتبارات ومعايير جيوبوليتيكية أخري قد تكون خير معين في توضيح أبعاد التأثير الجيوبوليتيكي لموقع طاجيكستان بالنسبة لدول الجوار ويوضحها الجدول (٢) والشكل(٣).

جدول (٢)معايير المساحه والسكان والقوات المسلحه بين طاجيكستان ودول الجوار .

المعيار	طاجيكستان (١)	اجمالى دول الجوار لطاجيكستان(١)	النسبة بين طاجيكستان ودول الجوار
المساحة (كم)	١٤٣١٠٠	١٠٨٩٠٣٦٠	١-٧٦
السكان(نسمه)	٧١٦٣٥٠٦	١٣٥٨٢٠٠٠٠٠	١-١٩٠
القوات المسلحة(جندى)	٨٨٠٠٠	٤٠٩٠٠٠٠	١-٤٧

Source: C.I.A., The world fact Book , 2005.

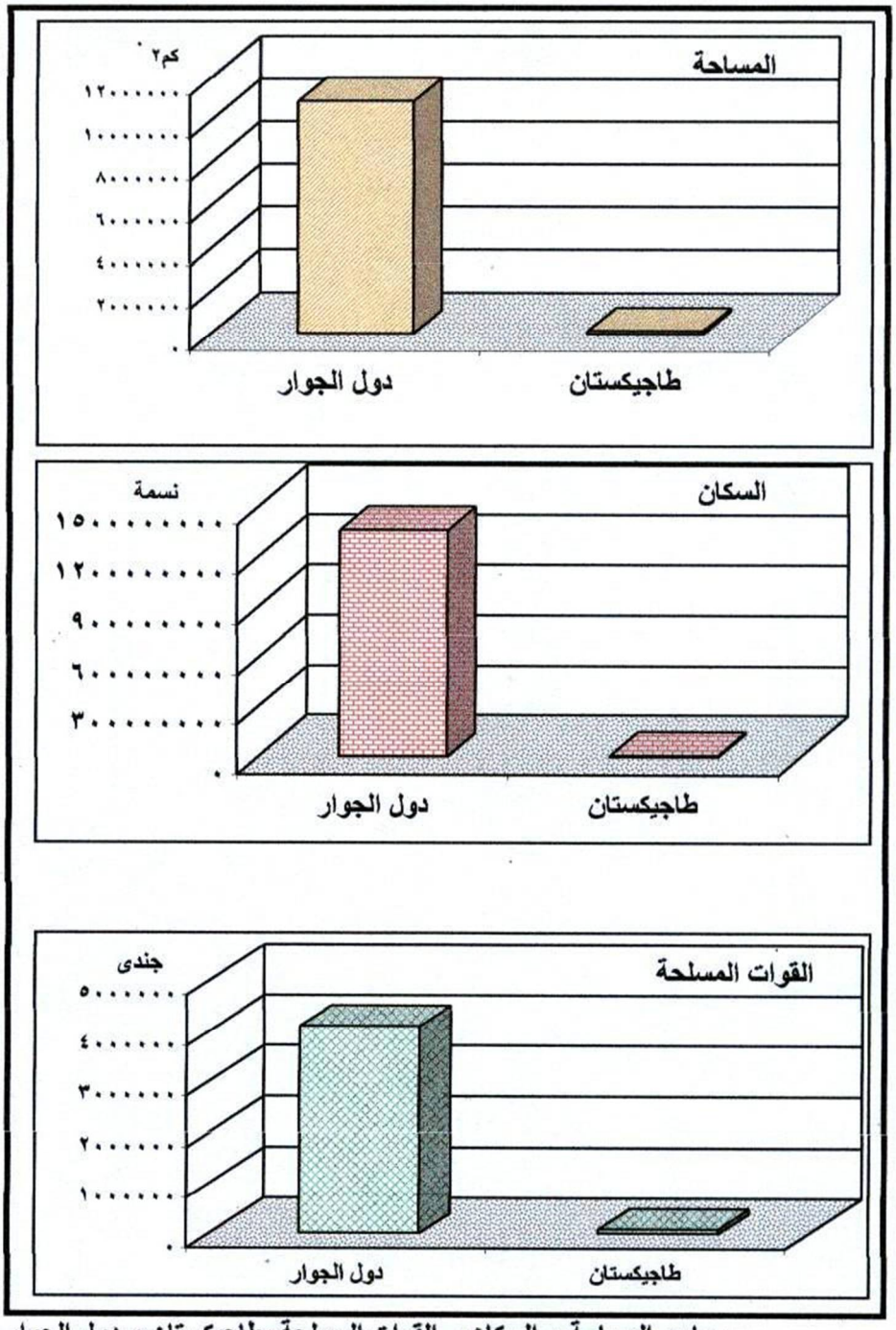

شكل ٣ معايير المساحة و السكان و القوات المسلحة بطاجيكستان و دول الجوار

ويتضح من الجدول والشكل أن معيار مساحة طاجيكستان بالنسبة لدول الجوار هو ١: ٧٦ ،ومعيار سكان طاجيكستان بالنسبة لدول الجوار هو ١: ١٩٠ ، ومعيار القوة العسكرية

لطاجيكستان بالنسبة لدول الجوار هو ١: ٤٧ ، وهذا يوضح لنا اختلال التوازن الجيوبولتيكي " المساحي، السكاني، العسكري" بين طاجيكستان ودول الجوار.

المكتنفات والمقتطعات

توجد علي خريطة العالم بعض مظاهر الشذوذ الجيوسياسي ، وترتبط بالموقع بالنسبة للمناطق المجاورة ، ومنها وقوع دولة أو أجزاء منها في دولة أخري ، ولهذا الوضع نتائج سياسية مهمة ، ويطلق علي المنطقة التابعة لإحدي الدول ، وتقع في دولة أخري اسم المكتنف ، وهي مقتطع Exclave بالنسبة للأولي ، ومكتنف Enclave بالنسبة للثانية**(محمد محمود إبراهيم الديب ، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٤.**

توجد في كل من طاجيكستان وأوزبكستان وقيرغيزستان جيوب صغيرة من الأراضي سواء داخل أراضيها أو فى أراضي الدول المجاورة ، وهى مناطق معزولة جغرافيا كالجزر .

كما يتضح ذلك فى وادي فرغانه ferg hana valley الذي يعد موطنا للمكتنفات **(International CrisisGroup, op , cit , p.4)**

جغرافيا هذه المكتنفات معزولة كالجزر ولكنها من الناحية القانونية جزء من إقليم الدولة ، ولكل من طاجيكستان ، وقيرغيزستان وأوزبكستان مكتنفات تابعة لها في أراضي الدولتين الأخريين، وتوجد المكتنفات في وادي فرغانة وخارجة**(Appeia &Peter., op, cit, P.24)**

١ـ تعود نشأة تلك المكتنفات إلي عشرينيات القرن العشرين عندما تم رسم حدود جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق فى عهد ستالين ، بمشاركة فاعلة من قبل المسئولين المحليين للحزب الاشتراكي ، الذين كان لهم روابط عائلية مع سكان بعض المناطق ، وبذلك أثروا علي عملية تحديد تلك الحدود .

تضم قيرغيزستان سبع مكتنفات ، يعود ٢ منهم لدولة طاجيكستان هي:

١- فاروخ Varukhويسكنه حوالي ٢٥ ألف نسمة ويوضح ذلك الجدوول(٣)

جدول (٣) أكبر المكتنفات الطاجيكية في دولة قيرغيزستان

المكتنف	المساحة كم٢	السكان نسمة	الإقليم التابع له	التركيب الإثني	معلومات أخري
فاروخ Vorukh	٩٠	٢٥٠٠٠	طاجيكستان منطقة لينين آباد	٨٥% طاجيك ١٥% قيرغيز	نزاع بين طاجيكستان وقيرغيزستان حول المياه والموارد الأرضية

Appei.A&Peter.S , op, cit, P,27.

٢- مكتنف صغير إلي الشمال من أسفانا Asfana

وقد شهد مكتنف فاروخ التابع لطاجيكستان توترات عرقية في أعقاب الاستقلال ، كما شهد تنازعاً حول الأرض والمياه .

(٤) الموقع الاستراتيجي

تقع طاجيكستان ودولآسيا الوسطي في قلب آسيا ، وتحتل بذلك موقعاً استراتيجياً مؤثراً ، جعلها تشغل جانب كبير من الفكر الجيوبولتيكي العالمي ابتدءا من هالفورد ماكيندر في نظريه قلب الأرض عام ١٩٠٤ ، ومروراً بجيمس فيرجريف في نظريه منطقة الارتطام عام ١٩٥١ وحتي سبيكمان في نظريه نطاق الحافة عام ١٩٤٤.

وهذه المنطقة هي ملتقي خطوط تماس جغرافية وإستراتيجية كثيرة ، أو كما شبهها جوند فرانك أنها ثقباً أسود في منتصف الفضاء الكوني يمتص ويجمع طاقات منبثقة من أركان العالم المختلفة**(Andre Gunder Frank., 1992, P.1).**

وفي الحقبة السوفيتية كان لموقع طاجيكستان أهمية كبيرة بالنسبة للاتحاد السوفيتي السابق من الناحية الإستراتيجية ، حيث كانت طاجيكستان أهم جمهوريات وسط آسيا السوفيتية الخمس من الناحية الإستراتيجية ، حيث مثلت هذه المنطقة مفتاحاً استراتيجياً وبوابة توصلهم إلي الهند وأفغانستان **(خليل عبد المجيد أبو زيادة ، ١٩٩٣ ، ص٢٩٠).**

كما كان لطاجيكستان أهمية عسكرية كبيرة بالنسبة للاتحاد السوفيتي وذلك لموقعها الجغرافي علي ما يسمي بخصرها الضعيف متمثلا فى المنطقة الجنوبية من الاتحاد السوفيتي ، كما أن طاجيكستان تحتوي علي ثلث احتياطي اليورانيوم الخصب الذي يعتبر أفضل الأنواع لصناعة الأسلحة النووية**(فهد العصيمي ، ١٩٩٣ ، ص١٣).**

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ لم تقل أهمية طاجيكستان الاستراتيجية بالنسبة لوريثة الاتحاد السوفيتي وهي روسيا ، حيث تعتبر روسيا حدود طاجيكستان هي حدودها والدليل علي ذلك هو ما أعلنه يلتسن في أغسطس عام ١٩٩٣ بعد شهرين من توقيع معاهدة التعاون العسكري بين روسيا وطاجيكستان حيث ذكر أنه يجب أن يفهم الجميع أن حدود طاجيكستان هي بالفعل حدود لروسيا بل إن الروس يعتبرون هذه المنطقة امتداد لمجالهم الحيوي وحق مكتسب لهم.

ولذلك فلا عجب أن يشهد الكرملين منذ التسعينات من القرن الماضي محاولة إعادة وبعث نظرية قلب العالم ، و يري بعض أنصار هذه النظرية اتخاذ قلب اليابسة الأورو آسيوي كنقطة انطلاق جغرافية لحركة عالمية معادية للغرب هدفها النهائي هو طرد النفوذ الأطلنطي وتحديداً الأمريكي من أوراسيا **(ماهر حمدي عيش، مرجع سبق ذكره ، ص٢٣٦-٢٣٧).**

كمـا تشـكل طاجيكسـتان ومنطقـة آسـيا الوسـطي موقعـاً اسـتراتيجياً هامـاً فـي الفكـر الجيوبـوليتيكي الأمريكـي . فمنـذ تفكـك الاتحـاد السـوفيتي عـام ١٩٩١ تحـاول الولايـات المتحـدة التغلغل فـى هذه المنطقة وذلك لإقامـة قواعد لهـا لتكون قريبـة من الصين و روسيا وإيران**(لطفي السيد الشيخ ، مرجع سبق ذكره ،ص٥٧)**.

وليس أفضل من منطقة وسط آسيا– منطقة قلب الأرض – كمكان مناسب تضـع فيها الولايات المتحدة دعائمها وتثبت أقدامها وتبني تحصيناتها ولعل هذا ما دفعها للاستيلاء علي أفغانستان تحت زعم الحرب ضد الإرهاب ، فأفغانستان من وجهة النظر الأمريكية تعتبر مدخلاً لآسيا الوسطي**(أحمد ثابت ، ٢٠٠٢ ، ص١٣)** .

ثانيا : المساحة

المساحة هي الحيز المادي للأرض التي تقوم علي ترابها الدولة ، فكل دولة لها كيان مادي ، قوامه مساحة من الأرض، وتمثل هذه المساحة المسرح الجغرافي الذي يحتوي الدولة ، باعتبارها تمثل المكان المناسب لنشاط الإقليم السياسي.

وتكتسب هذه المساحة أو المسرح الجغرافي قيمته وأهميته من قيمة الموقع الجغرافي للدولة تارة ، ومما تحظي به من موارد ومصادر طبيعية يتاح للسكان التعامل معها والانتفاع بمعطياتها تارة أخري ، وتعد المساحة أحد العناصر الأساسية التي تؤثر علي قوة الدولة وعلي تأديتها لوظائفها وعلي سلوكها علي المسرح الدولي**(محمد محمود الديب، مرجع سبق ذكره ، ص٢٥٨)** .

لا تتعدي مساحة طاجيكستان ١٤٣,١ ألف كيلو متر مربع، وتغطي المياه ٤٠٠كم٢ من مساحة دولة طاجيكستان ، وهي عبارة عن بحيرات وخزانات وأنهار وجميعها مياه عذبة ، بينما تغطي اليابسة ١٤٢,٧ألف كم٢ من مساحة الدولة .

وهي تحتل بذلك المرتبة الثامنة بين الدول التي نتجت عن تفكك الاتحاد السوفيتي السابق من حيث المساحة، وتعادل مساحتها نحو ٠,٦% من مساحة الاتحاد السوفيتي السابق، ونحو ثلث مساحة دولة أوزبكستان المجاورة لها ، وحوالي ٧٢% من مساحة دولة قيرغيزستان المجاورة لها.

وبرغم احتلالها المرتبة الثامنة بين دول ما بعد الاتحاد السوفيتي من حيث المساحة ، إلا أن العائد الاقتصادي من تلك المساحة معبرا عنه بالناتج المحلي الإجمالي gross domistic produtct لم يكن على نفس المستوي ، فقد جاءت طاجيكستان فى المرتبة ١٢ بين دول ما بعد الاتحاد السوفيتي من حيث متوسط نصيب كل كيلو متر مربع من المساحة الناتج المحلي الإجمالي ، أو ما يعرف بمؤشر غني الأوطان (**فتحي محمد مصيلحى خطاب** ، ٢٠٠١، **ص٨٢**) .

واحتلت طاجيكستان المرتبة الثالثة عشر بين دول ما بعد الاتحاد السوفيتي من حيث حجم الناتج المحلي الإجمالي عام ٢٠٠٢ ، وإذا أخذنا فى الاعتبار أن مساحة طاجيكستان تقارب ضعف مساحة دولة جورجيا التي احتلت المرتبة الرابعة عشر من حيث حجم الناتج المحلي الإجمالي ، لا تضح لنا أن الترتيب المنطقي لطاجيكستان هو الترتيب الرابع عشر أسفل جورجيا ، وتعادل مساحة دولة طاجيكستان ٣,٦% من مساحة دول آسيا الوسطي ، وهي أصغر الدول الخمس مساحة .

أما على مستوي دول العالم الإسلامي فإن طاجيكستان تمثل ٠,٤٦% من إجمالى مساحة العالم الإسلامي والبالغ حوالي ٣١.١ مليون كم٢ ، وبذلك تأتي طاجيكستان فى المرتبة ٣٥ من حيث المساحة بين دول العالم الإسلامي البالغة ٥٣ دولة حيث تسبقها مباشرة دولة بنجلادش وتلحقها مباشرة دولة الأردن .

وللمقاربة فإن دولة طاجيكستان تعادل في مساحتها ولاية ويسكنسون الأمريكية تقريباً ، وحسب تصنيف باوندرز(**Pounds, N.,. London, 1963**) لدول العالم من حيث المساحة– مع الأخذ في الاعتبار التغيرات التي طرأت علي مساحة الدول منذ عام ١٩٧٢ حتى الآن – فإن طاجيكستان لا هي بالدولة القزمية العدسية المساحة Microstate التي لا تتجاوز مساحتها ٢٥ألف كم٢ ، ولا هي بالدولة الصغيرة جداً very small state التي تتراوح مساحتها ما بين ٢٥: ١٢٥ ألف كم٢ ولكنها تندرج في فئة الدول الصغيرة small states التي تتراوح مساحتها بين ١٢٥: ٢٥٠ ألف كم٢ ، بينما لا ترقي إلي مرتبة الدول متوسطة المساحة.

ثالثا : العمق الدفاعي

تحتل طاجيكستان المرتبة الثامنة بين دول الاتحاد السوفيتي السابق من حيث مؤشر العمق الدفاعي النظري كما يتضح من الجدول (٤) ، ويبلغ عمقها الدفاعي نحو ٢١٤ كم .

جدول(٤) العمق الدفاعي النظري لدول الاتحاد السوفيتي السابق

الدولة	المساحة كم٢(١)	العمق الدفاعي (كم) (٢)
روسيا الاتحادية	١٧٠٧٥٤٠٠	٢٣٣٢
كازاخستان	٢٧١٧٣٠٠	٩٣
أوكرانيا	٦٠٣٧٠٠	٤٣٨
تركمانستان	٤٨٨١٠٠	٣٩٣
أوزبكستان	٤٤٧٤٠٠	٣٧٧
بيلاروس	٢٠٧٦٠٠	٢٥٧
قيرغيزستان	١٩٨٥٠٠	٢٥١
طاجيكستان	١٤٣١٠٠	٢١٤
أذربيجان	٨٦٦٠٠	١٦٦
جورجيا	٦٩٧٠٠	١٤٩
ليتوانيا	٦٥٢٠٠	١٤٤
لاتفيا	٦٤٦٠٠	١٤٣
استونيا	٤٥١٠٠	١٢٠
مولدو فا	٣٣٧٠٠	١٠٤
أرمنيا	٢٩٨٠٠	

		٩٧

(1)**C.I.A. , The world fact book , 2005 .**

(٢) من حساب الطالب ، والأرقام تعبر عن مدى انحراف شكل الدولة عن الشكل الدائري وتقديره (١٠٠) الذي يعد اكر الأشكال الهندسية اندماجا وعمقا .

رابعا : شكل الدولة

الشكل هو أحد العوامل المؤثرة في الجغرافيا السياسية للدولة ، وقد تتأثر به كثيرا ترتيبات الدفاع عن الدولة ، ودرجة كفاءة التقسيمات الإدارية الداخلية وترابط الشبكات النقلية بالدولة **(صلاح عبد الجابر عيسي ، دولة اريتريا من منظور الجغرافيا السياسية ، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٣)**

وبالنظر إلى خريطة طاجيكستان يتضح أن الشكل العام لها يتميز بعدم الانتظام الهندسي ، فهي عبارة عن مساحة من اليابس تختنق في الوسط نتيجة بروز جزء من أفغانستان داخلها ، ومن الوسط تنفرج طاجيكستان باتجاه الشرق والغرب ، وهذا يجعلها دولة غير مندمجة .

ولذلك تظهر بها الزوائد والبروزات ، وهو ما يسمي بالشكل الاسفني وهو الذي تخرج منه أجزاء ناتئة تتخلل أراضي الدول المجاورة حيث يتوغل نتوء من جمهورية طاجيكستان نحو الشمال الغربي ليتوغل داخل أراضي أوزبكستان ويضم جزء من وادي فرغانه .

ويعتبر هذا البروز الممتد من طاجيكستان والمتمثل فى جزء من وادي فرغانه نقطة ضعف في التركيب والشكل الجغرافي لطاجيكستان ، وذلك لأن غالبية سكانه من الأوزبك كما أنه يساهم بنصيب كبير في الاقتصاد الطاجيكي .

ويعتبر الشكل الدائري أو المندمج هو الشكل المثالي للدولة لما يحققه من مميزات إدارية ودفاعية واجتماعية ، وبتطبيق إحدى الصيغ الكمية لمعامل الشكل ([١]) على الرقعة الأرضية

---

(١) حسبت على أساس المعادلة التالية :

طول حدود الدولة × ١٠٠

مؤشر الاندماج = ----------

أقصر حدود ممكنة للدولة

لطاجيكستان يتضح أن معامل الشكل لدولة طاجيكستان بلغ ٢٧٢% .مما يعكس مدى التشوه في شكل الدولة الطاجيكية وطول حدودها بالنسبة لمساحتها .

تتخذ طاجيكستان شكلا شريطا بصفة عامة ، وحيث يبلغ أقصي امتداد لها بين خطوط الطول نحو ٧٠٠ كم من الشرق إلى الغرب ، في حين لا يتجاوز أقصي امتداد لها بين دوائر العرض ٣٥٠ كم من الشمال إلى الجنوب .

وتتوغل أراضي أفغانستان في خصر إقليم طاجيكستان ، حتى تكاد تقسمها إلى قسمين شرقي وغربي ، وعندها لا تتجاوز المسافة بين الحدود الشمالية والجنوبية لطاجيكستان ١٠٠كم ، وتأخذ الحدود الجنوبية لطاجيكستان شكل حرف w في اللغة الإنجليزية.

يبلغ مؤشر اندماج شكل الدولة index of compactness في حالة طاجيسكتان ٢٧٢% ، وكلما كان المؤشر يزيد على ١٠٠% كلما كان هناك تشوها في شكل الدولة ، وانحرافا عن الشكل الدائري المثالي ، فعلي سبيل المثال يبلغ مؤشر شيلي ٣١٠ ومؤشر المكسيك ٢٥٨ ،و مؤشر أورجواي ١٠٥

خامسا : **موقع العاصمة**

العاصمة هى المدينة التي تستقر فيها سلطات الدولة الثلاث ، التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وسفارات الدول الاجنبية والمؤسسات الكبيرة ، والعاصمة وظيفتها سياسية هى الحكم والادارة .

كانت دوشنبة العاصمة الطاجيكية في الأصل قرية صغيرة غير عامرة ، بيوتها من الطوب اللبن ، وشوارعها غير مرصوفة ،واستمدت العاصمة اسمها من كلمة دوشنبه بازار التي تعنى سوق الاثنين حيث كان يعقد فيها سوق كل يوم اثنين ، ودخلها الإسلام في القرن الأول الهجري ، وترسخ في عهد الدولة العباسية ، وشهدت عصور ازدهار كبيرة في العصور الوسطى .

وقد احتلها الروس في القرن التاسع عشر الميلادي ، وفرضت السلطات السوفيتية حكمها عام ١٩٢٥ ، وسموها ستالين آباد**(محمد راتب مبارك، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢٤)**.

وتعد دوشنبه من العواصم حديثة النشأة ، حيث يتجاوز عمرها قليلا ثلاثة أرباع القرن ، وتم اتخاذها عاصمة عام ١٩٢٢(**السيد خالد المطري، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٦**) ، وتقع دوشنبه في وادي هسار في النطاق الجنوبي الغربي المزدحم سكانيا على ارتفاع ٢٤٣٠ متر فوق منسوب البحر ، ويحيط بها إقليم زراعي غنى ، وهى تقع فى قلب المعمور الطاجيكى .

إلا أن الموقع الهامشي هندسيا لطاجيكستان عند الأطراف الغربية للدولة ، قد أضعف العمق الدفاعي للدولة ، وكما يتضح من الجدول (٥)والشكل(٤) أن انحراف العاصمة عن الوسط الهندسي للدولة يبلغ نحو ٢٣٥ كم حيث يقع الوسط الهندسي إلى الشرق من دوشنبه بنحو ٢٣٥ كم ، وعلى نفس درجة العرض تقريبا عند نقطة على الحد الإداري بين جورنوبدخشان وكارتيجن .

جدول (٥)موقع العاصمة

رقم النقطة على الخريط	المسافة من العاصمة كم	موقعها التقريبي
١	٣٢٨	الشمال
٢	٤٦٠	عند المثلث الحدودى الصين الطاجيكي القيرغيزى
٣	٦٠٠	الشرق
٤	٣٦٠	الجنوب
٥	٢٠٠	الجنوب
٦	٦٠	الغرب
٧	١٦٨	الغرب

النقاط اختيرت عشوائيا ، وقيست المسافات من قبل الطالب .

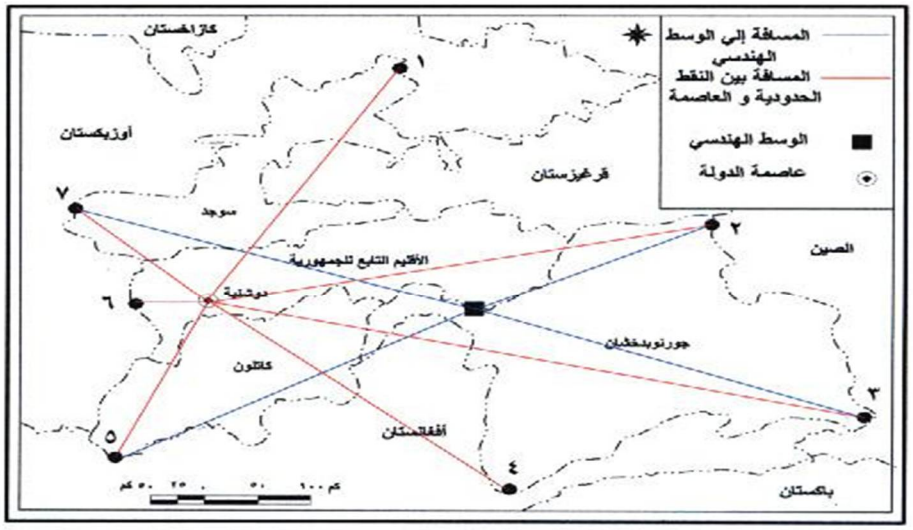

شكل ( ) المسافة بين عاصمة طاجيكستان و بعض النقط الحدودية

سادسا : مظاهر السطح

تتنوع مظاهر السطح في طاجيكستان تنوعا كبيرا ما بين الجبال الشاهقة والسهول والهضاب والوديان العميقة ، ويمكن تقسيم سطح طاجيكستان إلى الأقاليم الآتية :

(١) المناطق الجبلية

تتكون طاجيكستان من كتلة مرتفعة تصل إلى أعلاها في الشرق حيث تظهر هضبة البامير ، وفى طاجيكستان يتجمع عدد من السلاسل الجبلية التي تتكون من عقدة البامير التي تتفرع منها الجبال فى اتجاهات شتي **(السيد خالد المطري ، مرجع سبق ذكره، ص ٧٠)**

وتعد عقدة البامير أعلى نطاق جبلي في دول أسيا الوسطى حيث يوجد بها أعلى قمة في الاتحاد السوفيتي السابق ، والتي تعرف باسم قمة " ستالين " التي ترتفع إلى ٧٤٩٥ متر كما توجد فيها قمة جبل " لينين " الذي يرتفع إلى ٧١٣٤ متر إلى جانب عدد أخر من القمم الجبلية

وتتخلل هذه السلاسل الجبلية أودية عميقة تكونت عن طريق شبكة معقدة من البحيرات والأنهار الجليدية حيث يوجد فى هذه المنطقة نهر فيد شينكو الجليدي أكبر الأنهار الجليدية فى العالم والتي تبلغ مساحة حوضه ٧٠٠ كم٢.

تغطي الجبال ٩٣ % من مساحة سطح طاجيكستان ، وأكثر من نصف مساحة سطح الدولة يتجاوز ارتفاعه ٣٠٠٠ متر ، السلسلتين الرئيستين هما الباامير pamir وألاي Alay ، يضاف إليها تيان شان tian shan

تنقسم الأجزاء المنخفضة من أرض طاجيكستان إلى قسمين شمالي وجنوبي يفصلها ثلاث سلاسل جبلية معقدة، والتي تمثل أقصي امتداد غربي لسلسلة تيان شان وهىمتوازية بصفة عامة ؛ تمتد فى اتجاه عام شرقى غربى وتلك السلاسل هي : تركستان turkestan وزارافشان zarafshon وهسار hisor

وتقع السلسلة الأخيرة إلى الشمال من العاصمة دوشنبه التي تقع فى وسط غرب طاجيكستان وتفصل تلك السلاسل الجبلية بين المركزين السكانيين الرئيسين لطاجيكستان وهما فى المناطق المنخفضة low lands

ويغطي الجليد القمم الجبلية الشرقية ويغذى هذا الجليد المجاري النهرية التي تنحدر فوق السفوح الوعرة لتصل إلى النطاقات السهلية ، ويسبب ذوبان الجليد حدوث فيضان للأنهار مرتين فى العام الواحد المرة الأولى خلال الربيع عندما يذوب الجليد الذي يغطي السفوح غير المرتفعة المنسوب والمرة الثانية فى الصيف عندما يذوب الجليد الذي يغطى السفوح مرتفعة المنسوب **(جودة حسنين جودة ، محمد خميس الزوكة ، ١٩٩٨، ص ٦١٤) .**

وعلى العموم فإن أكثر المناطق ارتفاعا يتركز في شرق طاجيكستان ، بينما أكثر المناطق انخفاضا توجد في الشمال الغربي والجنوبي الغربي ويتضح ذلك من الشكل (٥).

وتكثر البحيرات في طاجيكستان وهى بحيرات جليدية وتقع أغلبها في إقليم بامير الشرقي ، وأكبرها مساحة بحيرة كاراكول kara – kull وتقع على ارتفاع ٤٢٠٠ متر فوق سطح البحر ، وتقع طاجيكستان ضمن منطقة حزام زلزلي نشط لذلك يعتبر حدوث الزلازل بها امر روتيني (**FAO ., op . cit . p. 4**)

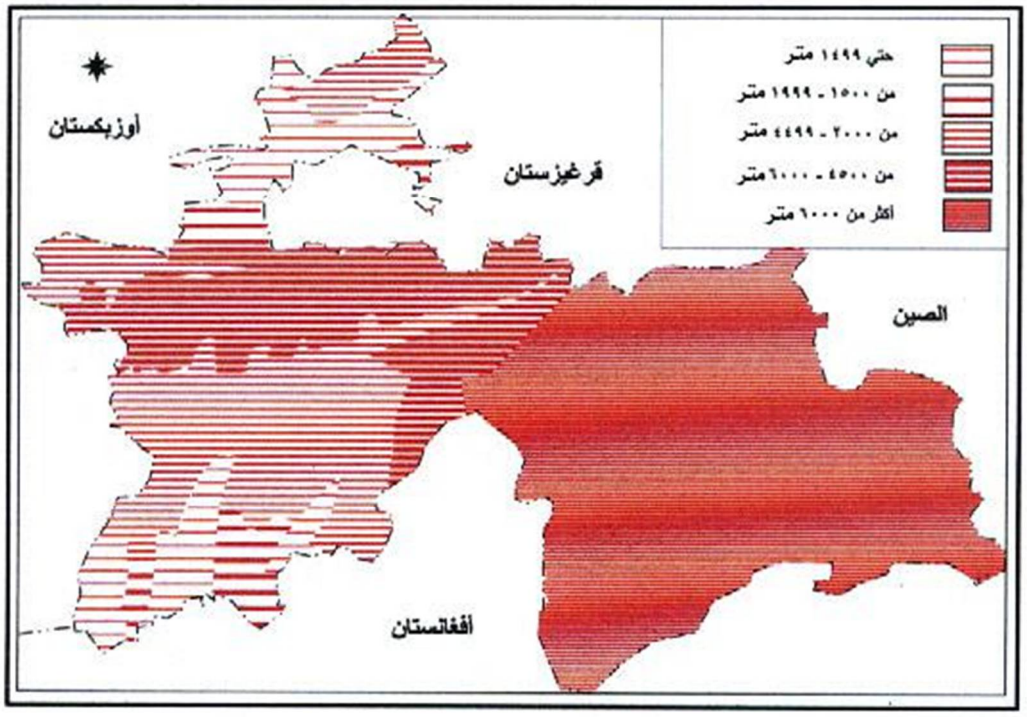

شكل ( ) طبوغرافية طاجكستان

(٢) الممرات الجبلية

في مثل هذه الظروف الطبيعية القاسية حيث تمثل مظاهر السطح والمرتفعات مناطق يصعب اختراقها ، لذلك تلعب الممرات الجبلية دروا كبيرا في ربط أجزاء الدولة حيث تمثل مناطق يسهل اختراقها عن طريق وسائل المواصلات ومن أهم الممرات الجبلية في طاجيكستان ما يلي :

- ممر أكبيتال : Akbaytal يوجد على ارتفاع ٤٦٦٥ متر فوق سطح البحر ويربط بين الإقليم الشرقي ومدينة أو ش في قيرغيزستان .
- ممر كولما kulma : ويوجد على ارتفاع ٤٣٦٢ متر فوق سطح البحر ويربط بين الإقليم الشرقي لطاجيكستان وإقليم سنكيانج الصينى .
- ممر أنزوب Anzob : ويوجد على ارتفاع ٣٣٧٢ متر فوق سطح البحر ويربط بين الإقليم الشمالي الغربي وباقي أجزاء الدولة.

(٣) الأودية النهرية

تدخل معظم أراضي طاجيكستان فى الحوض الأعلى لنهر جيحون " أمودايا حاليا " كما يدخل النتوء الشمالي من البلاد فى حوض نهر سيحون " سرداريا حاليا " وفي وادي فرغانه **(صباح محمود محمد ، ١٩٩٨ ، ص ص٢٢٣ ، ٢٢٤)**. الذي يعتبر من أخصب المناطق في طاجيكستان .

ويقع في طاجيكستان شبكة كثيفة من الأودية والمجاري النهرية ويبلغ عددها حوالي ٩٤٧ نهر ومجري مائي، ويوضح ذلك الشكل(١٣) وأهم هذه الأودية النهرية هي :

- **نهر أمودايا**:

يبلغ طوله الكلي حوالي ٢٤٠٠ كم ، وينبع النهر من مرتفعات طاجيكستان والمرتفعات الشمالية لأفغانستان .

ويبدأ المجري الأعلى لنهر أمودايا من هضبة باميرو ويعرف فى تلك المنطقة بنهر باماير ، ثم يمتد بين المرتفعات ويعرف باسم نهر " بانج " ويظل يعرف بهذا الاسم حتى التقائه بنهر " فاخش " وتسير الحدود السياسية بين جمهورية طاجيكستان وأفغانستان موازية لنهر " بانج "

وبعد عبور نهر بانج لمدينة خروج عاصمة الاقليم الشرقي لطاجيكستان يلتقي به عدة روافد ، أهمها نهر مورجاب ونهر فاخش ونهر داريا ويعرف النهر باسم أموداريا أعظم أنهار أسيا الوسطي .

وينبع حوالي ٨٢.٥% من مياه آمودايا من داخل طاجيكستان وذلك بفضل تكوينات الجليد والثلوج(**محمود طه أبو العلا ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٥)** .

- **نهر سيرداريا**

يشكل الجزء الشمالي الغربي لطاجيكستان والمتمثل فى جزء من وادي فرغانه جزءا من حوض نهر سيرداريا ويبلغ الطول الكلي لنهر سيرداريا حوالى ٢٢٠٠ كم(**محمود طه أبو العلا ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٥)**

وتأتي معظم مياه نهر سيرداريا من جمهورية قيرغيزستان فى حين تمده طاجيكستان بجزء ضئيل من المياه لا يتجاوز ١% فقط وذلك عن طريق مجموعة من الروافد النهرية أهمها أكسو aksu وإسفانا وإسفارا ويعتبر الوادي الأخير من مناطق النزاع بين طاجيكستان وقرغيزستان(**C.I.A. , The world fact book , 2005 . p.8)**

ولا تقتصر الأودية النهرية فى طاجيكستان على هذين النهرين بل توجد العديد من الأودية والمجاري المائية في طاجيكستان لذلك فهي من اغني دول آسيا الوسطي في موارد المياه .

ومن خلال العرض السابق لمظاهر السطح في طاجيكستان يتضح لنا عدة حقائق من أهمها :

- أن صورة السطح العامة في طاجيكستان على درجة كبيرة من التباين فبينما يصل أقصي ارتفاع في طاجيكستان إلى ٧٤٩٥ متر عند قمة " ستالين " فى الجزء الشرقي من البلاد ، تنخفض أجزاء أخرى الى ٣٢٠ متر فوق سطح البحر فى منطقة " كوكاند " فى الشمال الغربي .
- وبحساب نسبة التضرس لطاجيكستان نجدها تصل إلى نحو ١٠.٢٥ م /كم بينما وصلت هذه النسبة في أفغانستان مثلا إلى نحو ٦.٢ م/كم ، وكلما ارتفعت النسبة دل ذلك على ارتفاع نسبة التضرس وشدة التباين داخل الدولة .
- وكما ذكرنا فإن أكثر من نصف مساحة البلاد يقع على ارتفاع أعلى من ٣٠٠٠ متر ، وهذه المناطق المرتفعة تمثل صعوبات مناخية وبيولوجية وميكانيكية ، أما الصعوبات المناخية فتتمثل فى قلة درجات الحرارة بالارتفاع ، بينما تتمثل الصعوبات البيولوجية فى قلة الأكسجين وتتمثل الصعوبات الميكانيكية فى الصعود ضد الجاذبية الأرضية ولكل هذه الصعوبات تأثير مباشر وغير مباشر على السكان و نشاطهم الاقتصادي

كما لعبت مظاهر السطح دور كبير فى جعل طاجيكستان من اغني دول آسيا الوسطي فى مصادر الطاقة الكهرومائية ، وذلك عن طريق الأنهار التي تنبع من مرتفعاتها الشرقية ، حيث تحتوي طاجيكستان على حوالي ٦٠% من الأنهار الجليدية في وسط آسيا **(FAO. , Op . .Cit , p.3)**

وقد لعبت العوامل الطبيعية دور كبير في غنى طاجيكستان بالمياه ، فقد لعبت الرياح الغربية الشرقية القادمة من منطقة خوارزم فى أوزبكستان وتركمانستان محملة بأطنان من الملح إلى جبال الباميرفي شرق طاجيكستان حيث يصبح هذا الملح مخزنا في أركام الجليد في القمم الجبلية ويؤدى تدريجيا إلى إذابة الكتل الجليدية التي تعتبر مصدر المياه للمنطقة بكاملها**(فريد ريك ستار ، ١٩٩٩، ص١٢)**

(٤) الموارد المائية المشتركة

تتنافس دول آسيا الوسطي الخمس حول مياه النهرين الرئسيين فى المنطقة وهما :

١- نهر سرداريا Syr Darya الذي ينبع من جبال قيرغيزستان ويمر عبر طاجيكستان وأوزبكتسان وكازاخستان ليصب فى بحر آرال .

٢- نهر أمودايا الذي ينبع من طاجيكستان ومنها يمر عبر أوزبكستان وتركمنستان ليصب في بحر آرال وتشترك أفغانستان في هذا النهر.

يرجع التوتر بين تلك الدول إلى تغليب كل منها مصالحها الذاتية فى استغلال مياه النهرين ولو على حساب الدول المجاورة .

وعلي الرغم من أن طاجيكستان وقيرغيزستان تشغلان فقط ٢٠% من المساحة الإجمالية من حوض آرال فأن ٨٠% من مياه الحوض تتولد داخل هاتين الدولتين وبينما تتحكم قيرغيزستان فى مياه نهر سرداريا من خلال سد وخزان تكتوجول Toktogule فإن طاجيكستان تسعي لإقامة خزان في روجن Rogun على نهر فاخش Vakhsh الذي يعد أحد الروافد الرئيسية لنهر أمودايا .

إن هذه السياسات المتبعة من قبل دول المنبع دفعت دول المصب إلى التخطيط لإقامة خزانتها الخاصة مما يعرقل التعاون بين دول المنبع ودول المصب ،و مما يزيد من تعقيد الوضع أن دول آسيا الوسطي تستخدم المياه بمعدلات تبلغ ١.٥ مثل ما ينبغي أن تستخدمه بالفعل لأسباب تتعلق بنوعية المحاصيل المستخدمة .

إن إصلاح أو استبدال وتغير نظم الري العتيقة يمكن أن تسهم كثيرا فى تقليل استهلاك المياه ورفع غلة الحاصلات الزراعية ولكن هذا الحل مكلف فنحو نصف المياه المستخدمة تهدر عن طريق قنوات الري أو الترشيح أو البخر (**International crisis Group " 2002, p,23**) .

يعتمد القطاع الزراعي في دول المصب في حوض بحر آرال (أوزبكستان وتركمنستان) كليه على المياه من نهري أمودايا وسرداريا كما أن جنوب كازاخستان يعتمد على نهر سرداريا .

يعيش غالبية السكان في دول أسيا الوسطي باستثناء كازاخستان في المناطق الريفية وتشكل الزراعة ٢٨% من الناتج المحلي الإجمالي لأوزبكستان ويستخدم الري في إنتاج ٩٥% من المحاصيل وبصفة خاصة فإن القطن الذي يعد واحدا من أهم محاصيل التصدير ويساهم بنسبة كبيرة من عوائد العملات الصعبة في كل من طاجيكستان وأوزبكستان وتركمنستان ولذلك فإن إمدادات المياه بالنسبة لأوزبكستان وتركمنستان هي في قلب اهتماماتهم بالأمن القومي .

في الفترة بين عامي ١٩٩٥ ، ٢٠٠٠ زادت مساحة الأرض المروية بنسبة ٧% فى آسيا الوسطي وتخطط جميع الدول لزيادة تلك المساحة مستقبلا وإذا ما تحققت تلك الزيادة فإن الضغط على موارد المياه المحدودة سوف يتزايد بشدة .

موارد المياه السطحية

تنقسم طاجيكستان إلى أربعة أحواض أنهار رئيسية كما في الجدول (٦) وهي :

١- حوض نهر سرداريا حيث تمثل الأجزاء الشمالية الغربية في طاجيكستان جزء من حوض نهر سرداريا وينشا نحو ٧٨% من حجم التصريف المائي لنهر سرداريا في دولة قيرغيزستان بينما لا تساهم طاجيكستان سوي بواحد في المائة (١%) من حجم التصريف النهري لنهر

سرداريا ويرفد نهر سرداريا مجموعة من الروافد الضحلة التي تقع داخل طاجيكستان وهي خودزها بكرجان Khodzabakrirgan وأكسو Aksu وأسفرا Isfara ويبلغ حجم المياه التي تتصرف من تلك الروافد إلى نهر سرداريا ٠.٤ كم٣ / سنويا .

٢- حوض نهر أموداريا ويتولد ٨٢% من حجم التصريف المائي لنهر أموداريا إقليم طاجيكستان بواسطة أنهار فاخش Vakhsh وبياندیز Pyandhzh وكافرنجان Kafirnigan ويعد نهر فاكش أكبر أنهار طاجيكستان ويعبر طاجيكستان من الشمال الشرقي صوب الجنوب الغربي ويبدأ فى قيرغيزستان وتقع مناطق تجميعه فى الأجزاء الشاهقة من طاجيكستان على ارتفاع يتجاوز ٣٥٠٠ متر بينما يمثل نهر بياندز الحدود بين طاجيكستان وأفغانستان فى معظم قطاعه الطولي وبعد أن بتحد مع نهر فاكش يصبح اسمه نهر أموداريا وبعد ١٠٠كم يترك طاجيكستان ليصبح حدا سياسيا بين أفغانستان وأوزبكستان .

٣- حوض زارفشان Zaravshan وكأن أكبر روافد أموداريا وبنبع النهر فى طاجيكستان وتستخدم موارده المائية بالكامل لأغراض الري فى الوقت الراهن داخل طاجيكستان .

٣- حوض التصريف النهري صوب الصين في الأجزاء الشمالية الشرقية من طاجيكستان تصرف منطقة صغيرة مياها صوب الصين ولا توجد أرقام توضح حجم ذلك التصريف .

ويوضح الجدول (٦) موارد المياه السطحية فى طاجيكستان حسب الأحواض النهرية .

حوض النهر	% من مساحة طاجيكستان	موارد المياه السطحية الداخلية كم٣ سنويا	المياه المتدفقة من خارج باتفاقية كم٣ سنويا	مصدر المياه الخارجية	المياه المتدفقة من طاجيكستان إلي الدول المجاورة كم٣ سنويا	اتجاه التدفق المائي الخارجي	موارد المياه السطحية الفعلية كم٣ سنويا
سرداريا	١١	٠.٤٠	١١.٨٠	أوزبكستان	١١.٥٤	أوزبكستان	٠.٦٦
أمودايا	٨٤	٥٨.٠٣	١.١٥	قيرغيزستان	٤٩.٠٠	أوزبكستان	١٠.٥٤
زارفشان	٤	٤.٨٧	–		٣.٠٩	أوزبكستان	١.٧٨
الشمال الشرقي	١	–	–		–	الصين	–
الإجمالي	١٠٠	٦٣.٣٠	١٣.٣١		٦٣.٦٣		١٢.٩٨

يبلغ حجم الموارد المائية السطحية المتجددة الإجمالية في طاجيكستان نحو ٦٣.٣ ك٣، وخلال الحقبة السوفيتية كان توزيع الموارد المائية بين جمهوريات آسيا الوسطي يخضع لمخطط رئيسي Master Plan لتنمية واستغلال مياه نهري أمودايا وسرداريا ومنذ الاستقلال عملت دول آسيا الوسطي على إستراتيجية إقليمية جدية للمياه جسدتها اتفاقية ١٨ فبراير عام ٢٠٠٢ .

ويبلغ حجم الموارد المائية السطحية المتاحة لطاجيكستان سنويا نحو ١٢.٩٨ كم٣ / سنويا .

موارد المياه الجوفية

تقدر موارد المياه الجوفية الداخلية المتجددة بنحو ٦كم٣ سنويا يتداخل منها ٣ كم٣ مع المياه السطحية وبذلك يبلغ حجم الموارد المائية المتجددة فى طاجيكستان نحو ١٥.٩٨ كم٣ سنويا(**International Crisis Group.Op.Cit.p.50**) .

النزاع على المياه المشتركة

تعد المياه أحد أهم الموارد ذات البعد السياسي وقد ساهمت الطبيعة المركزية للإدارة السوفيتية للمياه ومهدت الطريق للنزاعات المائية التي بزغت بين دول آسيا الوسطي، فقد حابت حصص المياه التي وضعتها موسكو دول المصب المنتجة للقطن وهي أوزبكستان وتركمنستان وكازاخستان على حساب الدول ذات الطبيعة الجبلية والأقل تقدما فى المنبع متمثلة فى طاجيكستان وقيرغيزستان من اجل زيادة عوائد القطن فى الدول المجاورة لهما .

نظمت اتفاقية الماتا Almaty لعام ١٩٩٢ تقاسم المياه بين دول حوض بحر آرال أو بعبارة أخري حصص دول آسيا الوسطي في نهري أمودارياوسرداريا .

وتعد مشكلة تقسيم المياه في حوض بحر آرال بين دول آسيا الوسطي من أكبر أسباب النزاع بين تلك الدول ومنذ الاستقلال عملت تلك الدول على الاتفاق على تحديد حصص كل منهما فى مياه نهري أمودارياوسرداريا وكان السؤال المطروح هو هل يتم الإبقاء على الحصص المائية Water quotas التي كانت قائمة في العهد السوفيتي أم يتم تغييرها لتتلاءم مع العلاقات السياسية والاقتصادية الجديدة في حقبة ما بعد الاتحاد السوفيتي .

حددت اتفاقية إلماتا Almaty لعام ١٩٩٢ حصص استخدام المياه بين دول آسيا الوسطي والتي لم تختلف كثيرا عن ذلك عن تلك التي كانت قائمة فى العهد السوفيتي فقد رسخت الاتفاقية حصول كل من أوزبكستان وكازاخستان وتركمنستان وهي الدول الأغنى فى آسيا الوسطي على القدر الأعظم من حصص المياه من نهري أمودايا وسرداريا بينما حصلت دول أعالي النهرين علي حصص صغيرة من مياه النهرين مقابل صغر حجم سكان كل منهما وقلة حجم إنتاجهما من القطن والقرار الذي ظهر فى الحقبة السوفيتية بأن لا يتم تنمية الزراعة فى هاتين الجمهوريتين (طاجيكستان وقيرغيزستان) .

عملت كل من طاجيكستان وقيرغيزستان على التوسع فى الزراعة المروية إلا أن دول أدني النهرين (أوزبكستان – كازاخستان – وتركمنستان) كانت هي الأخرى وفي ذات الوقت تعمل جاهدة على التوسع الكبير فى الزراعة المروية لمواجهة التدهور الصناعي الذي أعقب تفكك الاتحاد السوفيتي مما أدي إلى زيادة كبيرة فى استخدام المياه فى دول آسيا الوسطي خلال عقد التسعينات من القرن العشرين حتي أصبحت دول آسيا الوسطي تستخدم ١.٥ مثل المياه التي أوصي الخبراء تلك الدول باستخدامها للحفاظ على استدامة الموارد المائية .

لقد فشلت محاولات التوصل إلى حصص مائية ترضي جميع دول حوض بحر آرال حيث تحصل أوزبكستان وحدها على ٥١% من مياه نهر سرداريا وتحصل كازاخستان على ٣٧% من مياه هذا النهر بينما تستهلك معظم مياه نهر امودايا من قبل أوزبكستان وتركمنستان ، وكل من أوزبكستان وكازاخستان أقوي سياسيا واقتصاديا من قيرغيزستان وطاجيكستان كما أنهما سوف تخسران الكثير فى حالة وضع حد أقصي لحصصهم المائية ، وعلي ذلك لم تعر دول أدني النهر اهتماما ولم تتفهم مطالب دول أعلي النهرين بشأن زيادة حصصهما المائية .

تقسيم مياه نهر أمودايا

يبلغ حجم التصريف السنوي لنهر أمودايا ٧٥ كم٣، وتبعا لاتفاقية ١٩٩٢ بخصوص حصص المياه فإن حجم ما يتبع طاجيكستان من ذلك هو ٩كم٣ أو نحو ١٢% من حجم التصريف السنوي للنهر وهو ما تراه دوشنبه منخفضا للغاية. وخلال الحقبة السوفيتية كانت الزراعة في طاجيكستان تعاني من الإهمال من قبل الحكومة المركزية مما جعل طاجيسكتان معرضة للتناقص في الإنتاج الغذائي كما أنها تعد واحدة من أكبر دول المنطقة من حيث معدلات النمو السكاني (٣% سنويا تقريبا) .

مما يجعل طاجيكستان فى حاجة ملحة إلى التوسع الزراعي لتلبية احتياجات السكان من الغذاء، ونظرا لتخلف نظام الري في طاجيكستان والذي يتطلب الكثير من المال والوقت لإصلاحه فلا سبيل أمام طاجيكستان من اجل التوسع في الزراعة المروية سوي استخدام المزيد من المياه .

تخطط طاجيكستان لمواجهة تزايد احتياجاتهم المائية عن طريق زيادة حصتها فى مياه نهر أمودايا أو عن طريق تحويل مياه نهر زرافشان Zarafshan من أجل الري، وبرغم أن الحل الأخير سوف يسمح بري أراضي ذات تربة عالية الجودة إلا أنه مكلف للغاية من ناحية كما انه من ناحية أخري قد يؤدي إلي نزاع خطير بين طاجيكستان وأوزبكستان التي تستخدم ٩٥% من تدفقات النهر .

يبدو المسلك الأيسر نسبيا من الناحية الاقتصادية والجيوسياسية هو العمل على زيادة حصة طاجيكستان من مياه نهر أمودايا حيث يتطلب القليل من الاستثمارات بالمقارنة بتحويل نهر زارقشان الذي يتطلب استثمارات طائلة غير متاحة بالنسبة لطاجيكستان، ونظرا لأن نهر

امودايا ينبع من طاجيكستان فإن ما بوسع الدول المجاورة لها أن تفعله هو القليل لمنع دوشنبه من زيادة حصتها فى مياه النهر حيث تدعي دول أدني النهر أن طاجيكستان تأخذ بالفعل مياه تفوق حصتها المقررة في اتفاق ١٩٩٢ برغم أن طاجيكستان تنكر ذلك .

وتعد عملية رصد ما تستخدمه طاجيكستان من المياه في غاية الصعوبة وذلك لتعرض معظم المعدات المستخدمة فى ذلك إما للتدمير أو التلف خلال الحرب الأهلية .

تتيح الموارد المائية لطاجيكستان قدرات كهرومائية كبيرة وفي الوقت الراهن تنتج طاجسكتان ١٥ بليون كيلو / وات / ساعة من الكهرباء سنويا ٨٠% منها (١٢ بليون كيلو وات / ساعة) تنتجه محطة نورك Nurek الكهربية على نهر فاخش Vakhsh إلا أن ذلك غير كاف لسد الاحتياجات المحلية وتعتمد طاجيكستان لحد بعيد على استيراد الكهرباء والغاز من أوزبكستان فى الشتاء إلا أن إمدادات الغاز من أوزبكستان غير مستقرة .

ولا يرتبط شمال طاجيكستان (مقاطعة سوجاد) كهربيا بوسط وجنوب طاجيكستان حيث تتركز المحطة الرئيسة لتوليد ا لطاقة الكهرومائية نورط وتزويد أوزبكستان مقاطعة سوجاد الطاجيكية بالكهرباء بينما تزود طاجيكستان المقاطعات الجنوبية لأوزبكستان بالكهرباء فى مقابل ذلك إلا أن تبادل الكهرباء لا يكفي التأمين للمستهلكين على مدار اليوم الكامل كما ان الشبكة الكهربية لطاجيكستان فى حالة سيئة مما يؤدي إلى وقوع العديد من الحوادث الفنية التي تؤدي إلى انقطاع التيار الكهربي فى الشتاء .

تسعي طاجيكستان لتطوير مواردها لكسر اعتمادها على أوزبكستان ولتصدر الكهرباء إلى الدول المجاورة، ويمكن لها أن تلبي احتياجاتها من الطاقة بسهولة بزيادة توليد الطاقة

الكهرومائية غير أن ذلك لا يتطلب فقط توفير الاستثمارات بل سوف يكون له تأثيره السلبي على الإمدادات المائية الموسمية لدول أدني نهر امودايا وما قد يترتب على ذلك من نزاعات حادة بين دول نهر أمودايا .

مشروعي سدي روجن وسانجتودا

خططت طاجيكستان منذ الثمانينات لاقامة سد روجن Rogun ومحطة توليد الطاقة الكهرومائية المرتبطة به على نهر فاخش Vakhsh وبدأت في تنفيذه بالفعل خلال الثمانينات ، ولكنه توقف بانهيار الاتحاد السوفيتي ونشوب الحرب الأهلية، وفي عام ١٩٩٣ دمر الفيضان معظم ما كان قد تم بنائه في هذا السد ويبلغ ارتفاع سد روجن ٣٣٥ متر وهو سيصبح أعلي سد في العالم وسوف ينتج طاقة كهربية في المحطة التي ستقام عليه تبلغ ٣٦٠٠ ميجا وات

كما خططت طاجيكستان لإقامة سد سانجتودا Sangtuda أدني من محطة نورك والتي سوف يكون بمقدورها توليد ٦٧٠ ميجا وات من الكهرباء.

بينما رحبت أوزبكستان بمشروع إنشاء سد محطة كهرباء سانجتودا فإنها اعترضت على مشروع إنشاء سد محطة كهرباء روجن حيث تري أوزبكستان أن طاجيكستان تتحكم فى ٤٠% من تدفق مياه نهر أمودايا عن طريق خزان نورك وان إقامة مشروع روجن سوف يجعل أوزبكستان بالكامل تحت سيطرة طاجيكستان من خلال سيطرة الأخيرة بالكامل على مياه نهر أمودايا، مما سيمكن طاجيكستان من التحكم فى تدفق المياه إلى مقاطعتي سورخاندريا Srrjhandarya وكشكاداريا Kashkadarya الأوزباكيتين .

ولإتمام مشروع روجن فإن علي طاجيكستان أن توفر ما يتراوح بين ٧٠٠ مليون دولار أمريكي إلى بليون دولار أمريكي أو نحو ٧% من الناتج المحلي الإجمالي، وقد بدأ العمل من جديد فى بناء السد عام ٢٠٠١ وبينما تري أوزبكستان أن مشروع روجن سوف يسمح لطاجيكستان بقطع المياه عن المناطق الزراعية الرئيسية لأوزبكستان فإن طاجيكستان تري أن المشروع مفيد لمنطقة آسيا الوسطي ككل وانه سوف يصبح بمقدور طاجيكستان أن تزود كل من أوزبكستان وتركمنستان وأفغانستان بإمدادات دائمة من المياه كل عام حيث سيؤمن سد روجن المياه للسنوات العجاف.

وتدرك وجهة النظر الرسمية الطاجيكية هذه أن المشروع سوف يكون بمقياس إقليمي وأنه يحتاج إلى دعم من الجهات الاستثمارية الرئيسية كبنك التنمية الأسيوي والبنك الأوربي من اجل إعادة تشييد السد وتطويره، إلا أن معظم الجهات الدولية المانحة للاستثمارات تحجم بشدة عن ضخ أي استثمارات فى مشروع روجن حيث تري أن المشروع غير مجدي من الناحية الاقتصادية حيث ستفوق تكلفتة أية عوائد سوف يحققها ، كما أنها قلقة بشدة مما قد يترتب على المشروع من توتير للعلاقة بين طاجيكستان وأوزبكستان، وبناء على ذلك فإنها تري أن طاجيكستان ينبغي عليها أن تبحث عن مشاريع مائية أصغر تحظى بدعم إقليمي وتؤمن لها احتياجاتهم من الطاقة الكهربية .

أفغانستان ومياه نهر بانج

وقع الاتحاد السوفيتي اتفاقية مع أفغانستان عام ١٩٤٦ بخصوص نهر أمودارياوبمقتضى تلك الاتفاقية أصبح لأفغانستان الحق فى استخدام نحو ٩ كم٣ من مياه نهر بانج Panj، إلا أن ما تستخدمه أفغانستان بالفعل لا يتجاوز ٢كم٣ ويبلغ حجم التصريف المائي لنهر بانج نحو ١٩كم٣

سنويا ويحذر الخبراء من أن استخدام أفغانستان لكامل حصتها فى مياه نهر بانجي قد يؤدي إلى تغيرات كارثية فى تدفق مياه نهر أمودارياً .

لم تكن أفغانستان معنية بقضايا المياه فى حوض أمودارياً وحوض بحر آرال خلال الحقبة السوفيتية وعملت موسكو على الحفاظ على استخدام أفغانستان للحد الأدنى من مياه نهر بانج وذلك بمساعدة الاتحاد السوفيتي أفغانستان فى تطوير الزراعة المروية فى الجنوب لا فى الشمال وان تظل الأرض التي تعتمد على الري فى الزراعة فى الشمال محدودة وخاصة نظرا لطبيعتها الجبلية .

ومنذ الاستقلال عملت معظم دول آسيا الوسطي على توثيق علاقاتها بأفغانستان وخاصة ما يتعلق بنهر أمودايا وعندما تم تأسيس منظمة حماية بحر آرال فى ١٩٩٣ تم اقتراح دعوة أفغانستان للانضمام إليها وبرغم عدم تحقق ذلك فإن المعلومات والتقارير عن عمل تلك المنظمة ترسل إلى كابل بانتظام .

ومع التواجد الأمريكي فى أفغانستان ومع البحث فى كيفية إعادة بناء أفغانستان رأت بعض المؤسسات الدولية أنه من المستحيل حماية بحر آرال وبناء عليه فمن الأفضل التفكير في تعظيم الاستفادة من نهري امودارياً وسرداريا وان تعظم أفغانستان استغلالها لنهر بانج بناء على ما سبق وتري طاجيكستان أن الجهات المانحة الدولية لا يمكنها أن تحول مياه نهر بانج إلى أفغانستان نظرا لتكلفة ذلك الباهظة بينما واجهت أوزبكستان الفكرة باندهاش كبير ورفض واستنكار .

سابعا : خصائص المناخ

نظرا للطبيعة الجبلية لطاجيكستان فإن الارتفاع فوق منسوب سطح البحر يحدد الاختلاف في درجات الحرارة والأمطار .

أما عن الحرارة ففي المناسيب المنخفضة والنطاقات السهلية والأودية ترتفع درجات الحرارة بصورة واضحة خلال الصيف ليصل متوسطها إلى ٣٠ درجة مئوية في حين تنخفض خلال الشتاء بحيث تتجاوز متوسطها ٤ درجة مئوية .

وفوق المناسيب المتوسطة الارتفاع التي يتراوح منسوبها بين ١٥٠٠- ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر ترتفع درجة الحرارة خلال الصيف إلا أن متوسطها لا يتجاوز ١٠ درجة مئوية في حيت تنخفض الحرارة بشكل كبير في الشتاء وتتعرض للصقيع بصورة مستمرة **(محمد خميس الزوكة ، ١٩٩١ ، ص٣٤)**

- أما فى المناطق المرتفعة خاصة جبال باامير في الشرق فإن درجات الحرارة تنخفض بصفة عامة حيث تتراوح في الصيف ما بين ٥-١٠ درجة مئوية وفي الشتاء ما بين ١٥-١٨ درجة مئوية بل تصل درجة الحرارة في بعض المناطق إلى ٤٥ درجة مئوية في الشتاء .
- ويكثر تكون الجليد في شرق طاجيكستان حيث تخلل الجبال الشرقية العديد من البحيرات والأنهار الجليدية مثل نهر فيدشيكنو الجليدي والذي يغطي حوالي ٧٠٠ كم٢ وهو احد أكبر أنهار الجليدية فى العالم**(library of congress , op.cit , p.3)**

مناخ طاجيكستان بصفة عامة هو مناخ قاري continental دون مداري subtropical وشبه جاف semiarid مع بعض المناطق الصحراوية و يتغير المناخ تبعا للارتفاع وتعزل الجبال وادي فرغانه والأراضي المنخفضة الأخرى عن الكتل الهوائية القطبية ، إلا أن درجة الحرارة في تلك المنطقة تنخفض دون درجة التجمد لأكثر من ١٠٠ يوم سنويا .

- في الأجزاء الجنوبية الغربية المنخفضة دون المدارية التي تتميز بأعلى معدلات حرارة فإن المناخ جاف .
- في الأراضي المنخفضة من طاجيكستان فإن معدلات الحرارة تتراوح بين ٢٣ درجة مئوية إلى ٣٠ درجة مئوية في يوليو ، و ١ درجة إلى ٣ درجة مئوية فى يناير .
- أما في مرتفعات البامير الشرقية فإن معدلات الحرارة في يوليو تتراوح ما بين ٥إلى ١٠ درجة مئوية ، وما بيم ١٥ إلى ٢٠ درجة مئوية في يناير .

معدل التساقط السنوي في معظم طاجيكستان يتراوح ما بين ٧٠٠ إلى ١٦٠٠ ملليمتر سنويا وأغزر المناطق أمطارا هي فد شنكو fedchenko التي تصل إلى ٢٢٣٦ ملليمتر سنويا وأقل المناطق أمطارا هي البامير الشرقية أقل من ١٠٠ ملليمتر سنويا معظم التساقط يتم فى الشتاء والربيع

ويرجع تكون الجليد إلى انخفاض المتوسط الشهري لدرجات الحرارة إلى ما تحت الصفر في حوالي ٨ أشهر من شهور السنة وخاصة في المناطق الشرقية المرتفعة وقد سجلت أقصي درجة حرارة على الإطلاق في يوليه وبلغت حوالي ٢٨ درجة مئوية في منطقة كوكاند في الشمال الغربي ، بينما كانت أقل درجة حرارة على الإطلاق في شهر يناير حيث بلغت –١٨ درجة مئوية في كلا من فدشيكنو ومورجاب في شرق البلاد ويوضح ذلك الشكل(٦) .

وتتميز أمطار طاجيكستان بالتذبذب من عام لآخر وخير مثال لذلك الجفاف الذي ضرب البلاد عام ٢٠٠١ م مما كان له أثر كبير على النشاط الزراعي (FAO,2001,p.3)

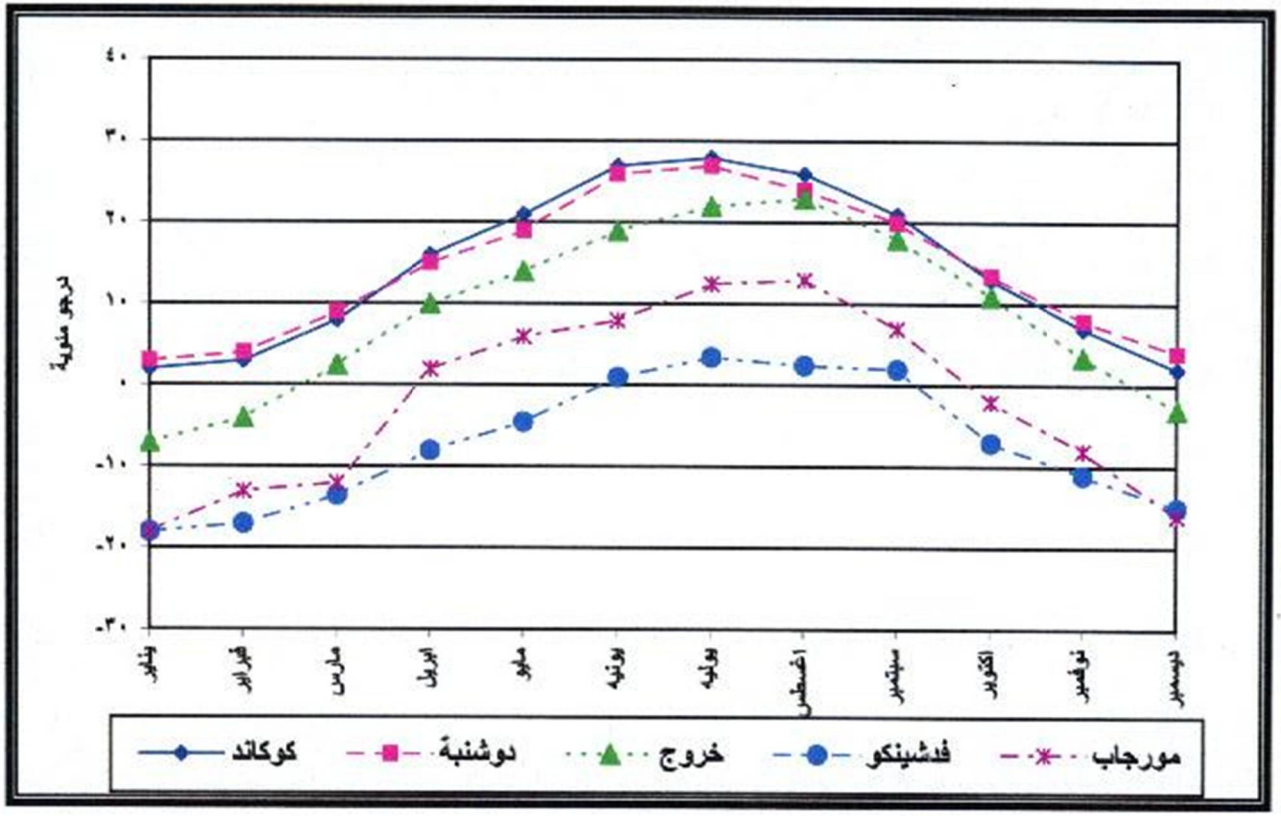

شكل ( ) المتوسط الشهرى لدرجات الحرارة فى طاجيكستان

ومن خلال العرض السابق للمناخ يمكن تصنيفه بأنه أحد العيوب في جسم الدولة وأحد مواطن الضعف في إقليمها السياسي حيث يمكن إجمال أثر المناخ على الواقع السياسي لطاجيكستان في النقاط التالية :

اتساع نطاقات الجفاف نتيجة الموقع القاري حيث يتسع المدى الحراري السنوي حيث تصل درجات الحرارة صيفيا إلى حوالي ٢٧ درجة مئوية بينما تنخفض شتاءا إلى حوالي –١٨ درجة مئوية مما أدى إلى التأثير على توزيع السكان داخل الدولة حيث أدى لخلو مناطق واسعة من السكان .

- كما أثر تساقط الثلوج على وحدة البلاد حيث فصل أجزاء البلاد إلى جزر منعزلة نتيجة سقوط هذه الثلوج وقطعها لخطوط المواصلات البرية
- كذلك ساعد المناخ وطبيعة الأرض في طاجيكستان على زراعة المخدرات "فالقنب " هو نوع من المخدرات يمكن قطفه مرتين إلى ثلاث مرات في الفصل الواحد ، ولذلك تشكل طاجيكستان وخاصة منطقة " جورنوبدخشان " مفتاح تجارة المخدرات الموجهة نحو السوق الأوربية **(محمد رضا جيلي ، تيري كيلز ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٣)**

الخلاصة

تواجه طاجيكستان مشكلات متنوعة مثل الموقع القاري، فطاجيكستان دولة حبيسة محاطة من جميع الجهات اللهم إلا الشرق بدول حبيسة . وتبعد طاجيكستان عن البحر بمسافة تتجاوز قليلا ٣٠٠٠كم وكان لذلك اثر كبير على عملية التبادل التجاري مع العالم الخارجي كما جعلها تقع تحت رحمة الدول المجاورة لها .

تحاط طاجيكستان بأربع دول تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم الأمر الذي يزيد من درجة حصارها وانكشافها أمام الدول المجاورة خاصة مع صغر مساحتها بالنسبة لدول الجوار.

كما تعاني طاجيكستان من المساحة القزمية للدولة ،وما يرتبط بذلك من ضآلة العمق الدفاعي، فضلا عن تشوه شكل الدولة، وما ارتبط به من هامشية موقع العاصمة بالنسبة لإقليم الدولة فهو يقع على بعد٦٠كم من الحدود الغربية للدولة في حين يبعد بمئات الكيلو مترات عن الحدود الشرقية، هذا بالإضافة إلي انفصال بعض أرجائها على شكل مكتنفات في أحضان الدول المجاورة ويتسم سطح طاجيكستان بشدة الوعورة مما كان له دور كبير في حصر المعمور الطاجيكي في أضيق نطاق.

كما لعب المناخ دورا سلبيا في الواقع السياسي للدولة حيث أدى اتساع نطاقات الجفاف إلي خلو مناطق واسعة داخل الدولة من السكان ، كما اثر تساقط الثلوج على وحدة البلاد حيث جعلها أشبه ما تكون بجزر منعزلة

ورغم أن حدود طاجيكستان مع الدول المجاورة حدود طبيعية في الأغلب ولكنها عبارة عن امتدادات طبيعية وعرقية للدول المجاورة لاسيما في ظل كثرة الممرات الجبلية والأودية النهرية القاطعة لهذه الحدود، إضافة إلى التداخلات الأثنية على جانبيها وهو ما أدى إلى زيادة احتمالات التدخلات

من الدول المجاورة في شئون طاجيكستان الداخلية فضلا عن النزاع على الموارد المشتركة بينها وبين دول الجوار.

المراجع العربية

(١) أ . أ . مودي ، ترجمة روفائيل جرجس ، زكي الرشيدي : الجغرافيا من وراء السياسة الألف كتاب رقم ٤٢٠ ، القاهرة ، دار الهلال ، بدون تاريخ.

(٢) أحمد ثابت ، الاقتصاد السياسي للصراع حول آسيا الوسطي بعد ١١ سبتمبر ، سلسلة أوراق آسيوية ، مركز الدراسات الأسيوية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ، العدد ٤٥ ، أغسطس ٢٠٠٢ .

(٣) الأمم المتحدة : بيئة المرور العابر في الدول غير الساحلية في آسيا الوسطى وجيرانها من بلدان المرور العابر النامية ، الجمعية العامة ، الدورة ٥٨ ،أغسطس ، ٢٠٠٣.

(٤) الأمم المتحدة : قانون البحار . اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، نيويورك ،١٩٨٨.

(٥) جودة حسنين جودة ، محمد خميس الزوكة ، جغرافية آوراسيا الإقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ .

(٦) خليل عبد المجيد أبو زيادة ، طاجيكستان الإسلامية ماضيها وحاضرها، مؤتمر المسلمون في آسيا الوسطي والقوقاز ، جامعة الأزهر، ١٩٩٣.

(٧) صباح محمود محمد ، جغرافية الدولة الإسلامية ، دار الأمل للنشر ، اربد، الأردن ١٩٩٨.

(٨) صلاح الدين الشامي، الدولة دراسة في الجغرافيا السياسية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠١.

(٩) صلاح عبد الجابر عيسي ، أسس الجغرافيا السياسية ، مطابع جامعة المنوفية ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٤.

(١٠) صلاح عبد الجابر عيسي ، شبكة المعلومات كمصدر بيانات للدراسة العلمية ، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية ،٢٠٠٢.

(١١) صلاح عبد الجابر عيسي ، دولة اريتريا من منظور الجغرافيا السياسية ، المجلة الجغرافية العربية ، العدد ٢٨ ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

(١٢) فتحي محمد مصيلحى خطاب ،خريطة القوي السياسية وتخطيط الأمن القومي بالشرق الأوسط والمنطقة العربية ، مطابع جامعة المنوفية ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠١.

(١٣) فريد ريك ستار ، البيئة الأمنية في آسيا الوسطى ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، الإمارات، ١٩٩٩.

(١٤) فهد العصيمي ، مأساة إخواننا في طاجيكستان ، مكتبة الملك عبد العزيز ،الرياض ، ١٩٩٣.

(١٥) ماهر حمدي عيش ، الجغرافيا السياسية والنظام الجيوبولتيكي العالمي المعاصر ، الناشر المؤلف ، الطبعة الأولي ، ٢٠٠٥.

(١٦)محمد أزهر سعيد السماك ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، اربد، الأردن، ١٩٨٢.

(١٧)محمد خميس الزوكة ، آسيا دراسة في الجغرافيا الإقليمية ، الإسكندرية ، ١٩٩١.

(١٨) محمود توفيق محمود ، الجغرافيا السياسية ، مكتبة رشيد، الزقازيق ، ٢٠٠١.

(١٩)محمود توفيق محمود ، موقع الإمارات العربية المتحدة: دراسة في تحليل القوة، رسائل جغرافية ، نشرة غير دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، العدد ١٠١ ، مايو ١٩٨٧.

المراجع الأجنبية

(1) Andre Gunder Frank., The Centrality of Central Asia, Amesterdam: vu university Press, 1992, P.1.

(2)C.l.A. , The world fact book , 2005 . p.8

(3) Dikshit, R.D., Political Geography , New York, 1982, P.31.

(4) Dilip Hiro., Takikistan: Peace in Elusive, middle East international, 28 Apr, 1995, P.15

(5) Djalili mohammed., and Kellner, T. Russia and central Asia, institute international , D'etues, strategiques , Paris, 2001, P.2

(6) Eland,I., Is chinese military modernization Athreat to the united states? Policy Analysis, No,465, the Cato Institute , washungton , DC, January 23, 2003, P.3

(7) FAO , Crop and Food Supply Assessment Mission to Tajikistan . August . 2001 . p .3

(8) International crisis Group " central Asis : Water and conflict 2002, p,23 .

(9) library of congress , country profile, Tajikistan, op.cit , p.3.

(10) Pounds, N., Political Geography , MC Graw- Hilm Company Inc. London, 1963.

(11)Snow.T,& Others,Country Case Studies On The Challenges Facing Landlocked Developing Countries ,UNDP,2003,p.2.

(12) United Nations Development Program, Human Development Report2002,Oxford University Press,New York,2002,pp149-152.

(13)United Nations Conference On Trade And Development ,Landlocked Developing Countries- Facts and Figures , New York, 2006,pp2,60.

(14)Zainiddin,K.,Water Diplomacy in Central Asia,meria, Vol.9,No.1,march2005.